جامعة الأزهر
AL-AZHAR UNIVERSITY

نظرات فلسفية
في وقائع قانونية بالعهد القديم مقارنة بالقرآن الكريم
(دراسة تاريخية مقارنة)

إعداد

د. أشرف محمد عبد الهادي عجيله

أستاذ فلسفة القانون وتاريخه المساعد

بقسم القانون الخاص بكلية الشريعة والقانون بطنطا – جامعة الأزهر

بحث مستل من الإصدار الأول ٢/١ من العدد الأربعين
يناير/ مارس ٢٠٢٥م

نظرات فلسفية
في وقائع قانونية بالعهد القديم مقارنة بالقرآن الكريم
(دراسة تاريخية مقارنة)

إعداد
د. أشرف محمد عبد الهادي عجيله
أستاذ فلسفة القانون وتاريخه المساعد
بقسم القانون الخاص بكلية الشريعة والقانون بطنطا – جامعة الأزهر

موجز عن البحث

يُعالج هذا البحث من خلال الفلسفة القانونية بعضَ الوقائعِ القانونيةِ الهامةِ التي حدثت في غابر الأزمان ووردت بالعهد القديم وذكرها أيضا القرآن الكريم. فيتناول بالتحليل واقعة قانونية من قديم التاريخ رُمِيَّ فيها نبي من الأنبياء (يوسف ﷺ) بالفاحشة. فيعمد لتحليل أدلة اتهامه التي ذكرتها التوراةُ – وما يتعلق بها من مسائل – ويفندها بالمقارنة بالقرآن الكريم.

أيضا يرمي هذا البحث إلى محاولة استخلاص التكييف القانوني الصحيح لواقعة أخرى اجترحها نبي من الأنبياء (موسى ﷺ) ، حيث اتُّهِمَ فيها بالقتل. وقد وردت تفاصيل هذه الواقعة بالتوراة ، وذهب كثير من مفسريها إلى أنها قتل عمد ؛ ومنهم من اشتط فقال بأنها قتل عمد مقترن بسبق الإصرار والترصد مُستندا في تفسيره لبعض آيات العهد القديم. وقد حاولنا الوصول للتكييف القانوني الصحيح لهذا الفعل. وقد نجد أنفسنا في سبيل معالجة هذه القضية مضطرين أن نستبق ذلك بالتأصيل لمسألة أخرى سابقة على واقعة القتل ومرتبطة بها كنشأة موسى أولا ببيت فرعون وما ارتبط بذلك.

أخيرا يحاول هذا البحث التنظير في واقعة من أهم الوقائع التاريخية التي أرَّقَت المؤرخين والأثريين وعلماء تاريخ القانون وهي واقعة خروج بني إسرائيل من مصر الفرعونية وما تعلق بها من مسائل. فمَنْ كان الفرعون الذي حاربهم ومنع إطلاقهم وصولا إلى حقيقة خروجهم من مصر القديمة وما ارتبط بها من مسألة تحديد شخص فرعون الخروج وحقيقة موته غرقا.

فمن المؤرخين والأثريين والمستشرقين مَنْ أنكر ذلك جملة ، معتصما بفلسفته لنصوص من العهد القديم.

وقد اعتصمنا في اختيار الرأي الراجح في المسائل أو الوقائع القانونية المطروحة بهذا البحث والواردة بسفري التكوين والخروج بأدلة مستلة من نصوص لا يتطرق إليها الشك أبدا أي من القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية : زليخة، قصة يوسف، قتل موسى، ضرب مفضي إلى الموت، الخروج، فرعون موسى ، غرق فرعون

Philosophical Perspectives

On Legal Facts In The Old Testament Compared To The Holy Qur'an

(A Comparative Historical Study)

Ashraf Mohamed Abdel Hadi Agila
Department of Private Law, Faculty of Sharia and Law, Tanta, Al-Azhar University, Egypt
E-mail: AshrafAbdElhadi1225@azhar.edu.eg

Abstract :

This research deals, through legal philosophy, with some important legal incidents that occurred in ancient times and were mentioned in the Old Testament and the Holy Quran. It analyzes a legal incident from ancient history in which a prophet (Joseph) was accused of committing adultery. It analyzes the evidence of his accusation mentioned in the Torah - and related issues - and refutes it by comparing it to the Holy Quran.

This research also aims to try to extract the correct legal classification for another incident committed by a prophet (Moses), in which he was accused of murder. The details of this incident were mentioned in the Torah, and many of its interpreters went so far as to say that it was premeditated murder; some of them went to extremes and said that it was premeditated murder with malice, basing their interpretation on some verses of the Old Testament. We have tried to reach the correct legal classification for this act. In order to address this issue, we may find ourselves compelled to precede it by establishing another issue that preceded the incident of murder and was related to it, such as Moses upbringing in the house of Pharaoh and what was related to that.

Finally, this research attempts to theorize about one of the most important historical events that has troubled historians, archaeologists, and legal historians, which is the exodus of the People of Israel from Pharaonic Egypt and the issues related to it. Who was the pharaoh who fought them and prevented their release, arriving at the truth of their exodus from ancient Egypt and the issue of identifying the Pharaoh of the Exodus and the truth of his death by drowning? Some historians, archaeologists, and orientalists have denied this entirely, relying on their philosophy for texts from the Old Testament.

We have relied on choosing the most correct opinion on the legal issues or facts presented in this research and mentioned in the Books of Genesis and on providing evidence drawn from texts that are beyond doubt, namely the Holy Qur'an.

Keywords: Zulaykha, The Story Of Joseph, The Killing Of Moses, The Beating Leading To Death, The Exodus, The Pharaoh Of Moses, The Drowning Of The Pharaoh.

يقول الله تعالى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ :
﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ - سورة يوسف : ١١١.

صدق اللَّهُ الْعَظِيمُ

مقدمة

الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك في ملكه أبداً ، وسبحان الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، وجعله تبصرةً وذكرى لأولي الألباب ، وكشف نقاب الحق عن وجه اليقين بدلائل آياته ، ونصب على منصته أعلام الهداية ليحق الحق بكلماته ، حتى انقطعت دون محجته حجج أقوام بظواهر شبهها يتظاهرون ، وهم ﴿**يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ التوبة :٣٢، والصلاة والسلام على مَنْ سفرت معجزات نبوّته بأحسنِ المطالع ، وظهرت شريعتُهُ فنسخت سائِرَ الشرائع ، أرسله مولاه بالهدى ودين الحق ليُظهِرَهُ على الدين كله ، وأيده بمحكم كتاب أعجزَ البُلغاءَ عن أن يأتوا بسورة من مثلِه سيدنا محمد ﷺ الذي بُشِّرَ بظهوره في التوراة والإنجيل ، وتحققت بوجوده دعوةُ أبيه إبراهيم ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

أهمية البحث

- تبرز أهمية البحث في نظرنا في أنه يسلط الضوء من وجهة الفلسفة القانونية على وقائع قانونية تاريخية هامة وقعت في غابر التاريخ. فتعمل تلكم الفلسفة على بحث أدلة اتهام نبي الله يوسف ﷺ بمحاولة الزنا بامرأة سيده وفق ادعائها عليه ، ونقارن بين الأدلة المستقاة من النصوص التوراتية والأدلة الواردة بالآيات القرآنية.
- أيضا يُسلِّطُ البحثُ الضوءَ على التكييف القانوني لواقعة هامة جداً وهي واقعة قتل نبي الله موسى ﷺ للمصري. وقد وردت في التوراة ، وذكرها القرآن الكريم ولكن بلفظ دقيق جداً له دلالة مختلفة في الفعل وفي النتيجة. وستعيننا الفلسفة القانونية والتاريخية المستفادة من النصوص المقدسة في الشريعتين الموسوية والإسلامية على الوصول بإذن الله للتكيف القانوني الصحيح لتلكم الواقعة.
- وأخيرًا يقودنا هذا البحث لمحاولة الرد على تساؤل هام حول مَنْ هو فرعون الخروج ؟ وهل مات غرقاً أم لا ؟ حيث إن هذه الواقعة التاريخية الهامة وردت نصاً وتفصيلاً في العهد القديم وكذا بسورٍ عديدة في القرآن الكريم. وقد اختلف بشأن هذين السؤالين الباحثون في علم تاريخ القانون والأثريون اختلافاً عظيماً.

لماذا اخترنا البحث

ترجع أهمية اختيارنا لهذا البحث للأسباب التالية :

١ - لأننا وجدنا بعضَ علماءِ الآثار منهم العالمة **نوبلكور**[١] تُنكر في مؤلفها ما ورد بالتوراة من الآيات أو الضربات التي وجهها الله تعالى على يد نبيه موسى ﷺ إلى فرعون ليُطلِقَ بني إسرائيل ، وفي هذا إنكار بالضرورة للتسع آيات المذكورة في قوله تعالى ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا**﴾[٢] ولقوله عز وجل ﴿**وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ۖ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**﴾[٣] ؛ ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**[.....]۞ **وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ** ۞ **فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ** ۞ **وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾[٤] فقد أنكرت قدسية الكوارث التي حلت بمصر القديمة إبان محاولة إخراج موسى بني إسرائيل من مصر وإنقاذهم من يد فرعون واعتبرتها كوارث طبيعية اجتاحت مصر. فقالت : (ربما أن النكبات التي أصابت مصر أحياناً ، والتي ذكرتها

---

(١) اسمها كريستيان ديروش نوبلكور. عالمة آثار فرنسية متخصصة في علم المصريات. كانت سبباً رئيسياً لخروج الفرعون رمسيس الثاني وسفره لفرنسا بذريعة علاجه من الفطريات التي بدأت تدب في مومياته للحفاظ عليها ، والحقيقة للبحث عن أسباب صهيونية أخرى ومنها هل هذا هو الفرعون الذي غرق أم لا في قصة خروج بني إسرائيل. وكانت ادعاءاتُها الطبية لضرورة معالجة مومياء الفرعون السببَ الرئيسيَّ لموافقة الرئيس الراحل أنور السادات على ذلك. وقد سَوَّقت لهذه الأسباب في مؤلفها : رمسيس الثاني فرعون المعجزات (Ramses II : La Veritable Histoire) ، المرجع السابق ، ص ٥١-٥٢.

(٢) الإسراء : ١٠٠. والتسع آيات المذكورة هي طبقا لأهل التفسير : العصا ، اليد ، السنون ، نقص الثمرات ، الطوفان ، الجراد ، القُمَّل ، الضفادع ، والدم.

(٣) النمل : ١٢.

(٤) الأعراف : ١٣٠-١٣٤.

"التوراة" : ذاك الغبار الأسود الذي كان يحيق بكافة أجوائها. فربما أن هذا المبرر الذي دعى الفرعون إلى إتاحة رحيل العبرانيين. وربما تومىء هذه الكوارث إلى أحد نماذجها السحيقة المتمثلة في طوفان رهيب بعيد الأمد ، وقعت ضحيته جزيرة "سانتورين"، وتسبب في أضرار بالغة بالمجال البيئي المجاور لها : حيث تطايرت مواد بركانية ، طالت، على ما يعتقد شمال سيناء !! ويدرج أيضا في قائمة الكوارث هذه : فيضان النيل، فائق الحد ، خلال الفترة المحيطة ب"أيام النسيء". وكذلك، ما تسببه الآلهة البعيدة ، من أضرار وأذى، كمثل : الأوبئة، وطاعون الحيوانات، وانتشار الضفادع بشكل رهيب، وتحول ماء النيل إلى لون الدماء الخ الخ ... !! ومن خلال نصوص "التوراة" ذُكِرَت أيضاً عدة تفاصيل ومعلومات، مغايرة وخارقة تماما للمألوف في أجواء مصر ومناخها. وفي هذا الصدد، يُشار إلى قتل الأطفال الذكور، البكريين : بما أنها، أصلا بمثابة ممارسة أسيوية، بل وفينيقية ... ولا تنبثق مطلقاً من أرض الفراعنة !!.. أما عن غيوم الجراد الذي يُهاجم مصر ويَهطل على أرضها في هيئة سيول غامرة والذي كان يلحق أضراراً بالغة في كافه أنحاء شمال أفريقيا ؛ فغالبا، ما يعتبره أهل مصر ذا فائدة ونفع. فهو يكافح الشر والشؤم .. وعادة، نراه من خلال النقوش السحرية الواقية الحامية بالكثير من مقابر "الدولة القديمة". كما استلهم الفنانون شكله في إبداع قوارير وأوعية الدهانات العطرية. بل لقد وصل الأمر إلى تشبيهه بالجنود البواسل الشجعان في كتائب الفرعون المسلحة الأربع.)[١]

٢- لذهاب بعض الكتاب أو المحققين للتوراة إلى إنكار مسألة غرق فرعون ، مثل **د. سهيل زكار** حيث يقول : (إن في هذه المعطيات الجديدة إلغاءاً كاملاً لحكايات الملكيات ، واحتلال فلسطين والقدس ، ويتماشى هذا تماماً مع المكتشفات الأثرية ، **<u>وإنه لم يُكتَشف أي ملك مصري قد غرق في البحر</u>**، ...)[٢]

٣ - لسوء فهم بعض علماء الآثار لما ورد بالقرآن الكريم مثل العلامة سليم حسن – كما

---

(١) انظر كريستيان ديروش نوبلكور ، رمسيس الثاني فرعون المعجزات (Ramses II : La Veritable Histoire) ، ترجمة فاطمة عبد الله محمود ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٥ ، ص ٢٣٧-٢٣٨.

(٢) انظر: التوراة ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف عام ، دار قتيبة ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٧ ، ص ٣٠.

سيأتي في موضعه. فقد ذهب إلى إنكار غرق فرعون وجيشه فقال : (**أما موضوع غرق فرعون فهو أمر قد فُهِمَ خطأ على حسب ما جاء في الكتب السماوية ، والواقع أنه لا يُمكن الإنسان أن يتصور غرق الفرعون وعربته ومن معه في ماء ضحضاح لا يزيد عمقه عن قدمين أو ثلاث ، بل المعقول أن خيل الفرعون وعرباته قد ساخت في الأوحال وسقط بعض ركابها مغشياً عليه** ، وهذا يُفسر ما جاء في سفر الخروج ١٤-٢٥: "فخلع دواليب المراكب فساقوها بمشقة". **ومما سبق نعلم أن خرافة غرق الفرعون في البحر الأحمر وموته لا أساس لها من الصحة...**،)[١].

٤ - لأن من العلماء "**سيغموند فرويد**"**مَن** ذهب إلى إنكار كون موسى إسرائيليا ، وادعى بسبب تربيته ببيت فرعون أن موسى كان مصريا. وفي غالب الظن مصرياً نبيل الأصل. وأن أسطورة إلقائه في اليم هي خرافة من نسيج اللاويين العبرانيين[٢].

٥ - لأننا لم نجد دراسات تاريخية تبتغي طرح نظرات فلسفية مقارنة حول النقاط المختلفة بين التوراة والقرآن الكريم في المجتمعات القديمة وعلى الأخص للأحداث الهامة في مصر الفرعونية كنموذج.

نطاق البحث

إن هذا البحث يقتصر على مقارنة آيات من العهد القديم "التوراة" ، بالأخص في سفري التكوين والخروج ، متعلقة بوقائع تاريخية هامة لها اختلافات من الوجهة القانونية ، بما ورد في القرآن الكريم لهذه الوقائع. وليس المقصود بالطبع المتوافقات منها ، بل سنبرز أوجه الاختلافات بين تلكم النصوص الخالدة.

وحيث إن القرآن الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وحيث إن المنزل به الروح الأمين ، وظل محفوظا بقدرة الخالق تبارك وتعالى لقوله تعالى : ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ**

(١) انظر لسيادته : موسوعة مصر القديمة ، الجزء السابع "عصر مرنبتاح ورعمسيس الثالث ولمحة في تاريخ لوبية"، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ٢٠٠٠، ص ١٣٥.

(٢) انظر مؤلفه : موسى والتوحيد ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٨٦، ص ١٥-١٩.

﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1] ؛ وحيث لم يتدخل بشر في كتابته أو تنزيله أو تأليفه لقول الحق تبارك وتعالى : ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[2] ولقوله عز وجل : ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۙ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[3] فإنَّ الدليل الذي سنستقيه من الوجهة التاريخية أو القانونية في هذه الوقائعونعتمده في الترجيح عند التعارض سيكون منبثقا من هذا الوحي الإلهي الخالد ، الذي لا يأتيه الباطل ، لأنه مقطوع به. وما علينا إلا تلمس الحكمة أو السبب التاريخي أو الفلسفي من هذا الاختلاف في جانب العهد القديم. وفي حالة الإخفاق سيكون الترجيح للحكم التاريخي أو القانوني المستل مما ورد بالقرآن الكريم.

وسنذكر بمشيئة الله تبارك وتعالى وقائعَ عديدة مستلة من فحصنا لبعض نصوص التوراة، نبدأها بسفر التكوين، ثم نعقبها بسفر الخروج ، وهذه الوقائع مشمولة بما يتعلق بها من مسائل هي :

أولاً - واقعة زليخة والأدلة القانونية لبراءة سيدنا يوسف

ثانياً - نشأة موسى ببيت فرعون وسبب هروبه

ثالثاً - فرعون موسى وحقيقة غرقه

منهجية البحث

لقد اتبعت في بحثي هذا المنهج الاستقرائي التحليلي والمنهج المقارن ، فقمت بتتبع نقاط البحث السالف ذكرها في التوراة والقرآن الكريم ، مستعينا بالنصوص المقدسة من العهد القديم ومن الذكر الحكيم ؛ ثم الرجوع إلى كتب التفسير الخاصة بالديانتين اليهودية والشريعة الإسلامية لمعرفة المقصود لدى المفسرين سواء الأحبار أو علماء التفسير.أيضا نرجع

---

(١) الحجر: ٩.

(٢)العنكبوت :٤٨.

(٣)يونس :١٥-١٦.

لكتب الآثار والمؤرخين فيما يتعلق بالوقائع التاريخية أو القانونية الهامة المذكورة بالديانتين وبالأخص المذكورة في مصر الفرعونية. ونتعرض للتكييف القانوني للواقعة القانونية محل البحث أو لما يقترن بها من ظروف قانونية في قوانيننا الجنائية المعاصرة.

خطة البحث

اشتمل البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو التالي :

- **المبحث الأول - قصة يوسف في الميزان بين التوراةِ والقرآن ، وفيه أربعة مطالب :**
  - **المطلب الأول - هل ترك يوسفُ ثوبَهُ بجوار امرأة العزيز وفرَّ عارياً حينما أرادته أن يواقعها؟**
  - **المطلب الثاني - حقيقة انتظار امرأة العزيز دخول زوجها ومناداتها عليه لتقص عليه الحدث**
  - **المطلب الثالث - شرط قبول يوسف الخروج من السجن لرؤية الملك**
  - **المطلب الرابع - ذهاب بصر يعقوب ثم إبصاره بقميص يوسف**
- **المبحث الثاني - نشأة موسى ببيت فرعون وسبب هروبه، وفيه مطلبان :**
  - **المطلب الأول - موسى لقيط لابنةِ فرعون أم لزوجته ؟**
  - **المطلب الثاني - التكييف القانوني لقتل موسى للمصري**
- **المبحث الثالث - فرعون موسى وحقيقة غرقه، وفيه ثلاثة مطالب :**
  - **المطلب الأول - من هو فرعون الخروج ؟**
  - **المطلب الثاني - حقيقة غرق فرعون الخروج طبقا للعهد القديم**
  - **المطلب الثالث - أدلة غرق فرعون الخروج في القرآن الكريم**
- **الخاتمة : وفيها نتائج البحث وتوصياته.**

المبحث الأول

قصة يوسف في الميزان بين التوراةِ والقرآن

تمهيد :

بادئ ذي بدء ننوه أننا نجد توافقا في الأحداث التي جرت مع النبي يوسف ﷺ في التوراة والقرآن الكريم[١]. بيد أنه توجد بعض الاختلافات يثيرها البحثُ عند التدقيق في بعض

معلوم أن سيدنا يوسف ﷺ أنُزِل إلى مصر ، واشتراه فوطيفارُ خصيُّ فرِعون رئيسُ الشُّرط (الشرطة) - وكان رجلا مصريا - من يد الإسماعيليين الذين أنزلوه إلى هناك. وباستقراء قصة يوسف ﷺ الواردة بسفر التكوين الإصحاح التاسع والثلاثين بالعهد القديم ومقارنتها بنظيرتها في سورة يوسف بمحكم التنزيل نلحظ تشابها يكاد يكون متطابقا بين سرد وقائع القصتين. بيد أنه بالتدقيق وإلقاء نظرة فاحصة على بعض النقاط يتبين لنا وجود ثمة فروق[٢] نخص بالذكر منها أموراً لا تطابق بينها. **ونوجزها** فيما يلي :

الأمر الأول : ورد في التوراة : (**فَتَرَكَ ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا وَهَرَبَ وَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ**.) أي ترك يوسف ﷺثوبه وفر ، بينما في القرآن الكريم - وهو الذي ندين له وبه - أنها (أي زليخةزوجة فوطيفار) شقت ثوبه من الخلف لشهادة الشاهد من أهلها ﴿... **وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾[٣]. فهل تُرِكَ القميص طبقا للتوراة أو قُدَّ مِن دبر كما أشار القرآن الكريم ؟ وفي هذا دليل لبراءة سيدنا يوسف من محاولة الزنا بامرأة العزيز.

---

(١) انظر حسن الباش، القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان ؟ دار قتيبة ، بدون مكان أو تاريخ للنشر، ج ١، ص٢٠٠-٢٠٤.

(٢) انظر في الفروق في ذكر بيع يوسف ﷺ والتصويبات التي فندها العلامة ابن حزم : عبد الوهاب طويلة ، تَورَاةُ اليَهُود والإمامُ ابنُ حَزمٍ الأندلسي ، "عرض جديد لما أورده الإمام ابن حزمٍ في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) عن توراة اليهود وبعض أسفارهم من حيث التوثيق والمغالطات" ، دار القلم ، دمشق ، بدون تاريخ للنشر ، ص ٢٤٣-٢٤٤.

(٣) يوسف : ٢٦-٢٧.

الأمر الثاني : طبقا للتوراة : (﴿وَكَانَ لَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا وَهَرَبَ إِلَى خَارِجٍ، ﴿ أَنَّهَا نَادَتْ أَهْلَ بَيْتِهَا، وَكَلَّمَتهُمْ قَائِلَةً: «انْظُرُوا! قَدْ جَاءَ إِلَيْنَا بِرَجُل عِبْرَانِيٍّ لِيُدَاعِبَنَا! دَخَلَ إِلَيَّ لِيَضْطَجِعَ مَعِي، فَصَرَخْتُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ. ﴿ وَكَانَ لَمَّا سَمِعَ أَنِّي رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ، أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ بِجَانِبِي وَهَرَبَ وَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ. ﴿«فَوَضَعَتْ ثَوْبَهُ بِجَانِبِهَا حَتَّى جَاءَ سَيِّدُهُ إِلَى بَيْتِهِ. ﴿ فَكَلَّمَتْهُ بِمِثْلِ هذَا الْكَلاَمِ قَائِلَةً: «دَخَلَ إِلَيَّ الْعَبْدُ الْعِبْرَانِيُّ الَّذِي جِئْتَ بِهِ إِلَيْنَا لِيُدَاعِبَنِي. ﴿ وَكَانَ لَمَّا رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ، أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ بِجَانِبِي وَهَرَبَ إِلَى خَارِجٍ.) فهل جلست زوجة فوطيفارُ متحرزة على قميصنبيّ الله يوسف ﷺ حتى دخل عليها زوجها ؟أم فوجئت هي ويوسف ﷺ بزوجها أي بسيدها الذي اشتراه طبقا للقرآن الكريم ؟

الأمر الثالث : هل خرج يوسف ﷺ من السجن فوراً لمقابلة الملك حينما طلبه أم رَفضَ واشترطَ استقصاء دليل براءته ؟

الأمر الرابع : هل ذَهبَ بصرُ يعقوب ﷺ لفقده بعض أبنائه ثم ارتد له ، أم لم يذهب مطلقا ؟

ونحن سنتناول بالتحليل هذه النقاط الأربعة في الأربعة مطالب التالية.

المطلب الأول

هل ترك يوسفُ ثوبه بجوار امرأة العزيز وفرَّعارياًحينما أرادته أن يواقعها ؟

نص التوراة يقطع بأن سيدنا يوسف ﷺ حينما دخل بيتَ سيده ليقوم ببعض الأعمال راودته زوجةُ سيده عن نفسه : (وَكَانَ يُوسُفُ حَسَنَ الصُّورَةِ وَحَسَنَ الْمَنْظَرِ. ﴿ وَحَدَثَ بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ أَنَّ امْرَأَةَ سَيِّدِهِ رَفَعَتْ عَيْنَيْهَا إِلَى يُوسُفَ وَقَالَتِ: «اضْطَجِعْمَعِي!»[1] ﴿«فَأَبَى وَقَالَ لامْرَأَةِ سَيِّدِهِ: «هُوَذَا سَيِّدِي لاَ يَعْرِفُ مَعِي مَا فِي الْبَيْتِ، وَكُلُّ مَا لَهُ قَدْ دَفَعَهُ إِلَى يَدِي. ﴿ لَيْسَ هُوَ فِي هذَا الْبَيْتِ أَعْظَمَ مِنِّي. وَلَمْ يُمْسِكْ عَنِّي شَيْئًا غَيْرَكِ، لأَنَّكِ امْرَأَتُهُ. فَكَيْفَ أَصْنَعُ هذَا الشَّرَّ الْعَظِيمَ وَأُخْطِئُ إِلَى اللهِ؟» ﴿ «وَكَانَ إِذْ كَلَّمَتْ يُوسُفَ يَوْمًا فَيَوْمًا أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ لَهَا أَنْ يَضْطَجِعَ بِجَانِبِهَا لِيَكُونَ مَعَهَا. ﴿ثُمَّ حَدَثَ نَحْوَ هذَا الْوَقْتِ أَنَّهُ دَخَلَ الْبَيْتَ

---

(١) معنى : "امْرَأَةَ سَيِّدِهِ رَفَعَتْ عَيْنَيْهَا إِلَى يُوسُفَ" أي نظرت إليه بإعجاب وافتتان. والمراد من قولها: "اضْطَجِعْ مَعِي!" أي مارس الجنس معي. انظر في ذلك الكتاب المقدس بالخلفيات التوضيحية ، دار الكتاب المقدس ، القاهرة ، الإصدار الثاني ، ط ١ ، ٢٠٢١ ، ص ٧٤.

لِيَعْمَلَ عَمَلَهُ، وَلَمْ يَكُنْ إِنْسَانٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ هُنَاكَ فِي الْبَيْتِ. فَأَمْسَكَتْهُ بِثَوْبِهِ قَائِلَةً « :اضْطَجِعْ مَعِي!» فَتَرَكَ ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا وَهَرَبَ وَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ.)[1]

فطبقا لهذه الآيات المباركات من العهد القديم يتضح لنا أن امرأة العزيز أمسكت سيدنا يوسف ﷺ من ثوبه ليفعل ما تأمره به ، فتركه لها وفر هارباً. وهذا يَلزمُ منه أنه كان عارياً وقت الفرارکنتيجة منطقية لما ورد بأن ثوبه كان بيد سيدته لدلالة تلكم الآيات : «**وَكَانَ لَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا وَهَرَبَ إِلَى خَارِجٍ، أَنَّهَا نَادَتْ أَهْلَ بَيْتِهَا، وَكَلَّمَتْهُمْ قَائِلَةً: «انْظُرُوا! قَدْ جَاءَ إِلَيْنَا بِرَجُل عِبْرَانِيٍّ لِيُدَاعِبَنَا! دَخَلَ إِلَيَّ لِيَضْطَجِعَ مَعِي، فَصَرَخْتُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ. وَكَانَ لَمَّا سَمِعَ أَنِّي رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ، أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ بِجَانِبِي وَهَرَبَ وَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ»**[2]

بيد أن القرآن الكريم له رأي آخر قاطع في هذه المسألة يناقض هذا ؛فالمستشهد من آيات القرآن الكريم أنَّ التي هو في بيتها طاردته إلى الباب الذي سبق وأن أغلقته. إذن لم تجلس سيدته متحفظة على ثوب يوسف ﷺ بل لاحقته حتى الباب لقوله تعالى : ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ.**﴾[3]

(وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ). [4] فمن هذا يُعلم أن نبي الله يوسف ﷺ كان يرتدي قميصه وقت فراره ولم يتركه كما ورد في التوراة.

يؤكد هذا النظر شهادة الشاهد من أهلها بخصوص شق الثوب حيثورد بالذكر الحكيم : ﴿**قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۞ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۞**

(١) انظر سفر التكوين ، الإصحاح ٣٩ : ٧-١٢.

(٢) انظر سفر التكوين ، الإصحاح ٣٩ : ١٣-١٥.

(٣) يوسف : ٢٣.

(٤) يوسف : ٢٥.

فَلَما رَأَى قميصَهُ قُدَّ من دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[١]

يقول السمرقندي في تفسيره لقوله تعالى: "**وَاسْتَبَقَا الْبابَ**" يعني: تبادرا إلى الباب، يعني: يوسف وزليخا. أما يوسف ﷺ فاستبق ليخرج من الباب، وأما زليخا فاستبقت لتغلق الباب، فأدركته قبل أن يخرج من الباب، فتعلقت به قبل أن يخرج من الباب. وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ يعني: مزقت وخرّقت قميصه من خلفه.)[٢]

إذن يُستدل من سياق القصة وشهادة الشاهد وواقعة ألفيًا سيدها لدى الباب ورؤية سيدها "**فَلَما رَأَى قِمِيصَهُ قُدَّ من دُبُرٍ**" أن قميص يوسف ﷺ كان عليه وقت فراره.

يقول السمرقندي : ("**وَأَلْفَيا سَيِّدَها**" يعني: صادفا ووجدا سيدها لَدَى الْبابِ يعني: زوجها عند الباب."**قالَتْ مَا جَزاءُ مَنْ أَرادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً**" يعني: قالت لزوجها: "**مَا جَزاءُ**"، يعني: ما عقاب مَنْ أَرادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً يعني: قصد بها الزنى "**إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ**" يعني: يُحبس في السجن. "**أَوْ عَذابٌ أَلِيمٌ**" يعني: يُضرب ضرباً وجيعاً، وذلك أن الزوج قال لهما ما شأنكما؟ قالت له زليخا: كنت نائمة في الفراش عريانة، فجاء هذا الغلام العبراني وكشف عن ثيابي، وراودني عن نفسي، فدفعته عن نفسي، فانشق قميصه. قالَ يوسف ﷺ: بل هِيَ راوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي يعني: دعتني إلى نفسها "**وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها**" قال مجاهد: قميصه شاهد أنه قَدْ قُدَّ من دبر، فظهر أن الذنب كان لها بتلك العلامة. .... . وروى أبو صالح عن ابن عباس أنه قال: «كان زوجها على الباب مع ابن عم لها يقال له تمليخا، وكان رجلاً حكيماً، فقال: قد سمعنا الاشتداد والجلبة من وراء الباب، ولا ندري أيكما قدام صاحبه؟ فقال ابن عمها: إن كان قد شُقّ القميص من قدامه فأنت صادقة فيما قلت، وإن كان مشقوقاً من خلفه فهو صادق، فنظروا إلى قميصه، فإذا هو مشقوق من خلفه، فذلك قوله تعالى : "**وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ**" يعني: زليخا وَهُوَ يعني: يوسف مِنَ الْكاذِبِينَ. "**وَإِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ**"، يعني: زليخا وَهُوَ يعني: يوسف مِنَ الصَّادِقِينَ وذلك أن الرجل لا

(١) يوسف : ٢٦-٢٨.

(٢) انظر بحر العلوم ، المجلد الثاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٣، ص ١٨٨-١٨٩.

يأتيها إلا مقبلاً. "فَلَمَّا رَأى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ" يعني : مقدوداً من دبر قالَ ابن عمها "إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ" يعني: من صنيعكن.)[1]

ثم نقرأ قوله تعالى : ﴿... قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾[2] ؛ وقوله تعالى : ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۞ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۚ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۞ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾[3]

فمن جماع دلالات تلكم الآيات الكريمة من الذكر الحكيم يُفهم أن ما ورد بآيات التوراة هذه (وَكَانَ لَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا وَهَرَبَ إِلَى خَارِجٍ، ۞ أَنَّهَا نَادَتْ أَهْلَ بَيْتِهَا، وَكَلَّمَتْهُمْ قَائِلَةً: «انْظُرُوا! قَدْ جَاءَ إِلَيْنَا بِرَجُل عِبْرَانِيّ لِيُدَاعِبَنَا! دَخَلَ إِلَيَّ لِيَضْطَجِعَ مَعِي، فَصَرَخْتُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ. ۞ وَكَانَ لَمَّا سَمِعَ أَنِّي رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ، أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ بِجَانِبِي وَهَرَبَ وَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ. ۞ «فَوَضَعَتْ ثَوْبَهُ بِجَانِبِهَا حَتَّى جَاءَ سَيِّدُهُ إِلَى بَيْتِهِ) غير موافق أبدا لسياق القصة الوارد بمحكم التنزيل. لأنها فرت خلفه وقدت قميصه ﷺ من الخلف ولم تجلس قابضة على قميصِهِ كدليلٍ لمحاولته وقاعها كما ادعت.

(١) انظر تفسير السمرقندي ، بَحر العُلوم ، المجلد الثاني ، المرجع السابق ، ص ١٨٩. وذكر فيه "وروي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال : «كان صبياً في المهد لم يتكلم بعد فتكلم، وقال إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكاذِبِينَ الآية. وقال قتادة : كان رجلاً حكيماً من أهلها. ويقال: كان رجل من خواصّ الملك. وروي عن عكرمة أنه قيل له : إنه صبي قال: لا، ولكنه رجل حكيم". انظر أيضا في الآراء التي قيلت بشأن الشاهد المذكور وهل ما إذا كانت منه شهادة أم حكما : تفسير القرطبي ، المجلد الخامس ، ص ١٥٧-١٥٨.

(٢) يوسف ، ٣٢.

(٣) يوسف : ٥٠-٥٢.

المطلب الثاني

حقيقة انتظار امرأة العزيز دخول زوجها ومناداتها عليه لتقص عليه الحدث

والسؤال الذي قد يتبادر إلى الذهن أيضا : هل انتظرت زليخة حتى قدوم زوجها ومناداتها عليه لتقص عليه الحدث طبقا للتوراة أم أنها فوجئت به عند الباب طبقا لما ورد بالقرآن الكريم عندما لاحقت يوسف ﷺ وجذبته من قميصه من الخلف فقدَّته ؟

إن المستفاد من آيات التوراة المذكورة آنفا : **(وَكَانَ لَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا وَهَرَبَ إِلَى خَارِجٍ، ۝أَنَّهَا نَادَتْ أَهْلَ بَيْتِهَا، وَكَلَّمَتهُمْ قَائِلَةً: «انْظُرُوا! قَدْ جَاءَ إِلَيْنَا بِرَجُل عِبْرَانِيٍّ لِيُدَاعِبَنَا! دَخَلَ إِلَيَّ لِيَضْطَجِعَ مَعِي، فَصَرَخْتُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ. ۝ وَكَانَ لَمَّا سَمِعَ أَنِّي رَفَعْتُ صَوْتِي وَصَرَخْتُ، أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ بِجَانِبِي وَهَرَبَ وَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ.۝ « فَوَضَعَتْ ثَوْبَهُ بِجَانِبِهَا حَتَّى جَاءَ سَيِّدُهُ إِلَى بَيْتِه)** أنَّ زليخةَ جلست على سريرها منتظرة قدوم زوجها العزيز إليها لتشتكي إليه ما سَتدَّعِيه على يوسف ﷺ نبي الله **(۝ فَوَضَعَتْ ثَوْبَهُ بِجَانِبِهَا حَتَّى جَاءَ سَيِّدُهُ إِلَى بَيْتِهِ)** ثم حينما جاء زوجها فُوطِيفَارُ نادت عليه.

لكن ورد التصريح في القرآن الكريم أن **زليخة كانت تجري خلف يوسف لترده إليها** بدليل قوله تعالى : **(وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ)** فيفيد أنها كانت تجري خلف يوسف ﷺ وفوجئا بالعزيز زوجها أي سيدها لدى الباب بدليل كلمة (وَأَلْفَيَا) فإنها مثنى تفيد وجود شخصين أي أنها كانت مع يوسف ﷺ في تسابق تجاه الباب **ولست منتظرة زوجها على سريرها لتشتكي إليه شأن العبراني كما ورد !!!**

قال القرطبي : (قوله تعالى: ﴿**وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ**﴾ فيه مسألتان: الأولى- قوله تعالى: (**وَاسْتَبَقَا الْبَابَ**) قال العلماء: وهذا من اختصار القرآن المعجز الذي يجتمع فيه المعاني، وذلك أنه لما رأى برهان ربه هرب منها فتعاديا، هي لترده إلى نفسها، وهو ليهرب عنها، فأدركته قبل أن يخرج. ﴿**وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ**﴾ أي من خلفه، قبضت في أعلى قميصه فتخرق القميص عند طوقه، ونزل التخريق إلى أسفل القميص)[١].

(١)انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، المجلد الخامس ، ص ١٥٥. والآية من سورة يوسف : ٢٥.

المطلب الثالث
شرط قبول يوسف الخروج من السجن لرؤية الملك

أيضا يُثار التساؤل التالي من مطالعة نصوص العهد القديم والذكر الحكيم : هل خرج يوسف ﷺ من السجن فورا لمقابلة الملك حينما طلبه أم رفض واشترط شيئا ما ؟

ورد بذات الإصحاح آيات - وهي متطابقة تماما مع القرآن الكريم إلا أن هناك نصاً يستعصي على التقريب. فنص هذه الآية من العهد القديم: (﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ وَدَعَا يُوسُفَ، فَأَسْرَعُوا بِهِ مِنَ السِّجْنِ. فَحَلَقَ[1] وَأَبْدَلَ ثِيَابَهُ وَدَخَلَ عَلَى فِرْعَوْنَ.)[2] وهذا ما يجعلنا نتساءل هل أسرع يوسف ﷺ وخرج من السجن فور استدعائه من قِبلِ الملك أم أنه رفض واشترط على الشخص الذي جاءه أن يرجع إليه ليسأله عن شيء ما ؟

يجيبنا القرآن الكريم عن هذا فيقول : ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾.[3]

روى عبد الرزاق عن عكرمة قال: قال رسول الله ﷺ (لقدْ عَجِبْتُ من يوسفَ وصَبْرِهِ وكَرَمِهِ، واللهُ يَغْفِرُ لهُ، حينَ سُئِلَ عَنِ البَقَرَاتِ العِجَافِ والسِّمانِ، وَلَوْ كُنْتُ مكانَهُ ما أجبْتُهُمْ حتى أَشْتَرِطَ أنْ يُخْرِجُونِي. ولقدْ عَجِبْتُ من يوسفَ وصَبْرِهِ وكَرَمِهِ، واللهُ يَغْفِرُ لهُ، حينَ أَتَاهُ

---

(١) ومعنى "فَأَسْرَعُوا" : أي رجال الملك. "فَحَلَقَ": الكلمة العبرية تعني كلاً من حلاقة الذقن وقص الشعر ، حتى يكون لائقاً لمقابلة فرعون. "وَأَبْدَلَ ثِيَابَهُ" :أي أبدل ثياب السجن بثياب أخرى مناسبة. انظر في ذلك الكتاب المقدس بالخلفيات التوضيحية ، المرجع السابق ، ص ٧٧. ويقول د. المسيري في موسوعته : (يبدو أن قصة يوسف ذات أصل مصري، ويُلاحظ فيها وجود لمسات مصرية هنا وهناك. ففي سفر التكوين ١٤/٤١ "يحلق يوسف رأسه قبل المثول أمام فرعون"، وقد كانت هذه عادة معروفة في مصر، ولم تكن معروفة عند الساميين.) انظر د. عبد الوهاب المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، بدون دار نشر ، القاهرة ، ٢٠٠٥ ، المجلد الخامس "اليهودية .. المفاهيم والفرق" ، ص ١٣.

(٢) سفر التكوين ، ٣٩ : ١٤. واقرأ في نفس السفر هذه الآيات من ١٥-١٨. (﴿فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «حَلُمْتُ حُلْمًا وَلَيْسَ مَنْ يُعَبِّرُهُ. وَأَنَا سَمِعْتُ عَنْكَ قَوْلًا، إِنَّكَ تَسْمَعُ أَحْلاَمًا لِتُعَبِّرَهَا. ﴾ «فَأَجَابَ يُوسُفُ فِرْعَوْنَ قَائِلًا: «لَيْسَ لِي. اَللهُ يُجِيبُ بِسَلاَمَةِ فِرْعَوْنَ. ﴾ «فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «إِنِّي كُنْتُ فِي حُلْمِي وَاقِفًا عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ، ﴿وَهُوَذَا سَبْعُ بَقَرَاتٍ طَالِعَةٍ مِنَ النَّهْرِ سَمِينَةِ اللَّحْمِ ....) فمطابقة تماما لما ورد بسورة يوسف.

(٣) يوسف : ٥٠.

الرَّسُولُ، ولَوْ كُنْتُ مكانَهُ لَبادَرْتُهُمُ البابَ، ولَكِنَّهُ أرادَ أنْ يَكُونَ لهُ العُذْرُ)[١].

أيضاً قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَحْنُ أَحَقُّ بالشَّكِّ مِن إبْرَاهِيمَ، إذْ قالَ: {**رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**}. ويَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا لَقَدْ كانَ يَأْوِي إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ، ولو لَبِثْتُ في السِّجْنِ طُولَ ما لَبِثَ يُوسُفُ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ.»[٢]

إذن لم يُسارع نبي الله يوسف ﷺ بإجابة الداعي والخروج من السجن بل اشترط تحري الملك عن أمر ما بدليل قوله سبحانه : "**قَالَ ما خَطْبُكُنَّ إِذْ راوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ**" حكاية لما فعله الملك بعد أن بلَّغه الرسول بما طلبه يوسف ﷺ منه. والتقدير: وبعد أن رجع رسول الملك إليه وأخبره بما قاله يوسف ﷺ، استجاب الملك لما طلبه يوسف منه، فأحضر النسوة وقال لهن: ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه.)[٣]

يقول شيخ الأزهر السابق - رحمه الله - د. محمد طنطاوي : ("**قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ، إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ**" بيان لما قاله يوسف ﷺ لرسول الملك ...أي: فلما جاء رسولُ الملك إلى يوسف ﷺ ليخبره بأن الملك يريد لقاءه، قال له يوسف ﷺ بأناة وإباء: ارجع إلى ربك، أي إلى سيدك الملك «**فَاسْأَلْهُ**» قبل خروجي من السجن وذهابي إليه «**مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ**» أي : ما حالهن، وما حقيقة أمرهن معي، لأن الكشف عن حقيقة أمرهن معي يهمني أن يكون واضحا في الأذهان والعقول، حتى يعرف الجميع أنني برئ، وأنني نقى العرض طاهر الذيل.والمراد بالسؤال في قوله «**ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ**» الحث والتحريض على معرفة حقيقة أمر النسوة اللائي قطعن أيديهن ...ولم يكشف له يوسف ﷺ عن حقيقة أمرهن معه لزيادة تهييجه على البحث والتقصي إذ من شأن الإنسان- خصوصا إذا كانحاكما- أن يأنف من أن يسأل عن شيء مهم، ثم لا يهتم بالإجابة عنه. وقد آثر يوسف ﷺ أن يكون هذا السؤال وهو

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٢٠٢) باختلاف يسير. والألباني في صحيح الجامع برقم : ٣٩٨٤ عن عبد الله بن عباس وقال عنه صحيح. والطبراني (٢٤٩/١١).

(٢) انظر صحيح البخاري ، حديث رقم ٣٣٧٢ . ومسلم برقم ١٥١. والآية بسورة البقرة :٢٦٠.

(٣) انظر د. محمد سيد طنطاوي ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط ١، ١٩٩٨ ، ج٧ ، ص ٣٧٣-٣٧٤.

في السجن لتظهر الحقيقة خالصة ناصعة، دون تدخل منه في شأنها. وجعل السؤال عن النسوة اللائي قطعن أيديهن دون امرأة العزيز، وفاء لحق زوجها، واحترازا من مكرها، ولأنهن كن شواهد على إقرارها بأنها قد راودته عن نفسه، فقد قالت أمامهن بكل تبجح وتكشف **"فَذلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ ما آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِنَ الصَّاغِرِينَ"**».

واكتفىَ بالسؤال عن تقطيع أيديهن، دون التعرض لكيدهن له، سترا لهن، وتنزها منه-ﷺ- عن ذكرهن بما يسوؤهن. ولذا فقد اكتفى بالإشارة الإجمالية إلى كيدهن، وَفَوَّضَ أمرهن إلى الله تعالى فقال:**"إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ"**.أي إن ربي وحده هو العليم بمكرهن بي، وكيدهن لي، وهو- سبحانه- الذي يتولى حسابهن على ذلك. ولا شك في أن امتناع يوسف ﷺ عن الذهاب إلى الملك إلا بعد التحقيق في قضيته يدل دلالة واضحة على صبره، وسمو نفسه، وعلو همته ... ولقد أجاد صاحب الكشاف في تعليله لامتناع يوسف ﷺ عن الخروج من السجن للقاء الملك إلا بعد أن تثبت براءته فقال: «إنما تأنى وتثبت يوسف ﷺ في إجابة الملك، وقدم سؤال النسوة ، ليظهر براءة ساحته عما قُذِف به وسجن فيه ، لئلا يتسلق به الحاسدون إلى تقبيح أمره عنده. ويجعلوه سلما إلى حط منزلته لديه، ولئلا يقولوا : ما خُلِّدَ في السجن إلا لأمر عظيم، وجرم كبير، حق به أن يُسجَنَ ويُعذَّبَ، ويستكف شره. وفيه دليل على أن الاجتهاد في نفى التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها»[(١)]

---

(١) انظر لسيادته : التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ٣٧٥. تفسير الكشاف ، ج ٢ ، ص ٣٢٥. وفي ذلك يقول القرطبي : (قوله تعالى: ﴿**وقال الملك ائتوني به**) أي فذهب الرسول فأخبر الملك، فقال: ائتوني به. ﴿**فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ**﴾ أي يأمره بالخروج قال: ﴿**ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ**﴾ أي حال النسوة. ﴿**اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ**﴾فأبى أن يخرج إلا أن تصح براءته [عند] الملك مما قُذِفَ به، وأنه حُبِسَ بلا جرم. وروى الترمذي عن أبي هريرة : قال رسول الله ﷺ : "إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم [ابن الكريم] يوسف بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم- قال- ولو لبثت في السجن ما لبث ثم جاءني الرسول أجبت- ثم قرأ- "فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن...." وروى البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :"يرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي ونحن أحق من إبراهيم إذ قال له"أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي" [البقرة: ٢٦٠]. وروي عن النبي

والمعنى: بعد أن جمع الملك النسوة قال لهن: ما الأمر الهام الذي حملكن في الماضي على أن تراودن يوسف عن نفسه؟ وهل وجدتن فيه ميلا إلى الاستجابة لكُنّ..؟ وكان الملك قد استقصى فعلم أمرهن قبل أن يواجههن، وهو المعتاد في مثل هذه الأحوال، ليكون الملك على بينة من الأمر وظروفه قبل الخوض فيه، فهو يواجههن مقررا الاتهام، ومشيرا إلى أمر لهن جلل..... وأمام هذه المواجهة التي واجههن بها الملك، لم يملكن الإنكار، بل قلن بلسان واحد: حاشَ لِلَّهِ أي : معاذ الله. ما عَلِمْنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قط، وإنما الذي علمناه منه هو الاستعصام عن كل سوء. وهنا قالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ، ويبدو أنها كانت حاضرة معهن عند الملك ، "**الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ**"أي : الآن ظهر الحق وانكشف انكشافا تاما بعد أن كان خافيا ... ثم أضافت إلى ذلك قولها «**أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ**» أي : أنا التي طلبت منه ما طلبت «**وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ**» في قوله «**هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي**». وهكذا يشاء الله تعالى أن تَثبُتَ براءةُ يوسف ﷺ على رءوس الأشهاد، بتلك الطريقة التي يراها الملك، وتنطق بها امرأةُ العزيز، والنسوةُ اللائي قطعن أيديهن. ومازال يوسف ﷺ في السجن رافضا أن يخرج إلا بعد أن ثبتت براءتُه[(١)].

وقد أثبت القرآن العظيم لنا هذه الواقعة وهي أن يوسف ﷺ لم يُسارع بالخروج للقاء الملك ، فلما جاءه الرسول بذلك رفض وامتنع عن الخروج حتى يتحقق الملك ورعيته براءة ساحته ، ونزاهة عرضه مما نُسِبَ إليه من جهة امرأة العزيز، وأن هذا السجن لم يكن على أمر يقتضيه ، بل ظلما وعدوانا ، بقوله تعالى: {**ما خَطْبُكُنَّ إِذْ راوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ**} فقد

ﷺ أنه قال"يرحم الله أخي يوسف لقد كان صابر حليما ولو لبثت في السجن ما لبثه أجبت الداعي ولم ألتمس العذر.[...] وفي رواية الطبري"يرحم الله يوسف لو كنت أنا المحبوس ثم أرسل إلي لخرجت سريعا إن كان لحليماً ذا أناة". وقال ﷺ :"لقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين سئل عن البقرات لو كنت مكانه لما أخبرتهم حتى أشترط أن يخرجوني ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول ولو كنت مكانه لبادرتهم الباب". قال ابن عطية: كان هذا الفعل من يوسف ﷺ أناة وصبرا، وطلبا لبراءة الساحة.) انظر الجامع لأحكام القرآن ، المجلد الخامس ، ص ١٨٧-١٨٨. وحديث الترمذي أخرجه في كتاب التفسير ٢٩٣/٥ برقم "٣١١٦" ، وقال عنه حديث حسن. وحديث البخاري أخرجه في كتاب التفسير ١٤٤/٣.

(١) انظر د. محمد طنطاوي ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ٣٧٥-٣٧٦. بتصرف. وانظر فتح البيان في مقاصد القرآن ، صديق حسن خان ، المكتبة العصريَّة ، بَيروت ، ١٩٩٢، ج ٦ ، ص ٣٥١.

أخبر تعالى عن الملك أنه استجاب لطلب يوسف ﷺ فجمع النسوة اللاتي قطعن أيديهن عند امرأة العزيز، وقال مخاطبا لهن كلهن - وهو يريد امرأة وزيره، وهو العزيز -: {**ما خَطْبُكُنَّ**} أي: شأنكن وخبركن {**إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ**} يعني: يوم الضيافة؟ {**قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ**} أي: قالت النسوة جوابا للملك: حاش لله أن يكون يوسف متهما، والله ما علمنا عليه من سوء. فعند ذلك {**قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ**}. قال ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد: تقول الآن: تبين الحق وظهر وبرز. {**أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ**} أي: في قوله: {**هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي**} {**ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ**} تقول: إنما اعترفتُ بهذا على نفسي ليعلم زوجي أن لم أخنه في نفس الأمر، ولا وقع المحذور الأكبر، وإنما راودت هذا الشاب مراودة، فامتنع ؛ فلهذا اعترفت ليعلم أني بريئة، {**وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ**۞**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي**} تقول المرأة: ولست أبرئ نفسي، فإن النفس تتحدث وتتمنى ؛ ولهذا راودته لأنها أمارة بالسوء، إلا من عصمه الله تعالى. وهذا القول[1] هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام. وقد حكاه الماوردي في تفسيره.... يقول ابن كثير : والقول الأول أقوى وأظهر؛ لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك، ولم يكن يوسف، ﷺ، عندهم ، بل بعد ذلك أحضره الملك[2].

المطلب الرابع
ذهاب بصر يعقوب ثم إبصاره بقميص يوسف

بالرجوع إلى هذه الآيات من سفر التكوين نعلم أن يعقوب ﷺ نبي الله كان مبصراً عندما احتال إخوةُ يوسف ﷺ بقميصه وادعوا افتراسه : «...**وَذَبَحُوا تَيْسًا مِنَ الْمِعْزَى وَغَمَسُوا الْقَمِيصَ فِي الدَّمِ. وَأَرْسَلُوهُ إِلَى أَبِيهِمْ قَائِلِين : «لَقَدْ وَجَدْنَا هذَا الْقَمِيصَ ، فَتَحَقَّقْ مِنْهُ،**

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ، المجلد الثاني ، ص ٥٩٨. وذكر ابن كثير بذات الموضع رأيا آخر أنه قيل: إن ذلك من كلام يوسف ﷺ من قوله: {**ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ**} في زوجته {**بِالْغَيْبِ**} الآيتين أي : إنما رددت الرسول ليعلم الملك براءتي وليعلم العزيز {**أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ**} في زوجته {**بِالْغَيْبِ**} {**وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ**۞**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِيإِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**} [الآية] . وهذا القول هو الذي لم يحك ابن جرير ولا ابن أبي حاتم سواه.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ، المجلد الثاني ، ص ٥٩٩. وتفسير الماوردي ، النكت والعيون ، ج ٣ ، ص ٤٥.

أَهُوَ قَمِيصُ ابْنِكَ أَمْ لاَ؟ ﴿ فَتَعَرَّفَ يَعقُوبُ عَلَيهِ وَقَالَ: «هَذاَ قَمِيصُ ابْنِي! وَحْشٌ ضَارٍ افْتَرَسَهُ وَمَزَّقَهُ أَشْلاَءَ. ﴿ فَشَقَّ يَعْقُوبُ ثِيَابَهُ، وَارْتَدَى المُسُوحَ عَلَى حَقَوَيْهِ، وَنَاحَ عَلَى ابْنِهِ أَيَّامًا عَدِيدَةً. ﴿ وَعِنْدَما قَامَ جَمِيعُ أَبْنَائِهِ لِيُعَزُّوهُ أَبَى أَنْ يَتَعَزَّى وَقَالَ: «إِنِّي أَمضِي إِلَى ابْنِي نَائِحًا إِلَى الْهَاوِيَةِ». وَبَكَى عَلَيْهِ أَبُوهُ.»[1]

ثم نتيجة لبكائه وحزنه عليه أصبح ضريرا ثم عُمِيَّ فلم يعد مُبصِراً، وقد أثبت القرآن الكريم ذلك ، بآيات قاطعة ، يُستفاد ذلك من مسألة البشير وإلقاء قميص سيدنا يوسف ﷺ على وجه أبيه كما سيأتي. بينما التوراة أغفلت هذا. فالتوراة لم تُثبت قط ذهاب بصر سيدنا يعقوب ﷺ، بل يظل إسرائيلُ ﷺ مبصراً منذ فقد يوسف ﷺ حتى عودته ولقائه به. وهذا يُستقى من جماع هذه الآيات ، وقد رجعنا فيها إلى نسختين من العهد القديم :

«﴿ثُمَّ صَرَفَ إِخْوَتَهُ فَانْطَلَقُوا، وَقَالَ لَهُمْ: «لاَ تَتَغَاضَبُوا فِي الطَّرِيقِ»﴿فَصَعِدُوا مِنْ مِصْرَ وَجَاءُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ، إِلَى يَعْقُوبَ أَبِيهِمْ. ﴿ وَأَخْبَرُوهُ قَائِلِينَ: «يُوسُفُ حَيٌّ بَعْدُ، وَهُوَ مُتَسَلِّطٌ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ». فَجَمَدَ قَلْبُهُ لأَنَّهُ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ. ﴿ ثُمَّ كَلَّمُوهُ بِكُلِّ كَلاَمِ يُوسُفَ الَّذِي كَلَّمَهُمْ بِهِ، وَأَبْصَرَ الْعَجَلاَتِ الَّتِي أَرْسَلَهَا يُوسُفُ لِتَحْمِلَهُ. فَعَاشَتْ رُوحُ يَعْقُوبَ أَبِيهِمْ. ﴿ فَقَالَ إِسْرَائِيلُ: «كَفَى! يُوسُفُ ابْنِي حَيٌّ بَعْدُ. أَذْهَبُ وَأَرَاهُ قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ.»[2]

أما المقصود هنا :**«﴿فَارْتَحَلَ إِسْرَائِيلُ وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُ وَأَتَى إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ، وَذَبَحَ ذَبَائِحَ لإِلهِ أَبِيهِ إِسْحَاقَ. ﴿ فَكَلَّمَ اللهُ إِسْرَائِيلَ فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَقَالَ : «يَعْقُوبُ، يَعْقُوبُ!» فَقَالَ:**

---

(١) انظر التكوين ، ٣٧ : ٣١-٣٦. ومعنى "تَيْسًا" : أي ذكر الماعز. "غَمَسُوا" : أي لطخوا القميص بدم التيس." وَأَرْسَلُوهُ" : ربما أرسلوا أحد العبيد أو واحداً من إخوتهم. "فَتَحَقَّقْ" : أي تأكد بنفسك ، انظر جيداً. "وَحْشٌ ضَارٍ افْتَرَسَهُ وَمَزَّقَهُ أَشْلاَءَ" : طبقا لتفسير التوراة : بكلمات يعقوب هذه نجحت الخطة كما أرادها إخوة يوسف. "افْتَرَسَهُ" : في العبرية يعني تمزق ..تمزيقا). انظر في ذلك الكتاب المقدس بالخلفيات التوضيحية ، المرجع السابق، ص ٧١.

(٢) انظر التكوين ، ٤٥ : ٢٤-٢٨. "طبعة ٢٠٢١"ومعنى "فَجَمَدَ قَلْبُهُ" : أي كاد قلبه أن يتوقف عن النبض فرحاً بهذا الخبر. "فَعَاشَتْ" : المقصود "فانتعشت"، أو "فاشتعلت من جديد". "كَفَى" : المقصود : يكفيني هذا ، كفاني هذا. انظر في ذلك الكتاب المقدس بالخلفيات التوضيحية ، المرجع السابق ، ص ٨٦.

«هأَنَذَا». ۝ فَقَالَ: «أَنَا اللهُ، إِلهُ أَبِيكَ. لاَ تَخَفْ مِنَ النُّزُولِ إِلَى مِصْرَ، لأَنِّي أَجْعَلُكَ أُمَّةً عَظِيمَةً هُنَاكَ. ۝ أَنَا أَنْزِلُ مَعَكَ إِلَى مِصْرَ، وَأَنَا أُصْعِدُكَ أَيْضًا. وَيَضَعُ يُوسُفُ يَدَهُ عَلَى عَيْنَيْكَ»[(١)]. فطبقا لتفسير العهد القديم : "أنه يُغلق عينيه عند موته"[(٢)].

أيضا هذه الآية من التوراة : «فَقَالَ إِسْرَائِيلُ لِيُوسُفَ: أَمُوتُ الآنَ بَعْدَ مَا رَأَيْتُ وَجْهَكَ أَنَّكَ حَيٌّ بَعْدُ»[(٣)]. تؤكد لنا أن يعقوب ﷺ كان يرى لما رأي يوسف ﷺ دون أي ذكرٍ لبشيرٍ أو لقميصٍ.

أما القرآن الكريم فقد أثبتت آياته أن سيدنا يعقوب ﷺ ظل حزيناً على فراق ابنه يوسف[(٤)] ﷺ ثم بنيامين[(٥)] وأخوهم الكبير[(١)] الذي تخلف من أجل بنيامين ، حتى ابيضت

(١) التكوين ، ٤٦ : ١-٤. "ط ٢٠٢١".

(٢) انظر الكتاب المقدس بالخلفيات التوضيحية ، المرجع السابق ، ص ٨٧.

(٣) التكوين ، ٤٦: ٣٠.

(٤) ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ۝ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ۝ قَالُوا يَا أَبَانَا مَالَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ۝ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ۝ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ۝ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ۝ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ۝ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ ۖ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾يوسف : ٧-٢٠.

(٥) ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ۝ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ۝ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ۝ [.....] قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۝ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ﴾ يوسف : ٧٤-٧٦ ؛ ٧٨-٧٩.

ﷺعيناه من الحزن ، قال تعالى : ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ۞ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ۞ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢]، وظل يعقوبُ ﷺ حزيناً ويبكي على عدم عودة ابنه المحبوب يوسف ﷺ حتى ابيضت عيناه فَعُمِيَّ من كثرة البكاء. يقول ابن كثير: (يقول اذهبوا بهذا القميص ، ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ ، وكان قد عُمِيَّ من كثرة البكاء)[٣]. وحينما سأل يوسفُ ﷺ إخوتَه عن صحة أبيه قالوا له أنه عمي من كثرة البكاء عليه. حينئذ قال لهم نبي الله يوسف ﷺ: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ۞ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ۞ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾[٤]وعندما تلقى يعقوب ﷺ تلك البشارة الكريمة ، وَعَلِمَ أن يوسف ﷺ حي وفي هذه المكانة المرموقة ولمس القميص وجه يعقوب ﷺ رد الله عليه بصره كما بَيَّنَ القرآن الكريم[٥].

قال القرطبي : (قال لهم يوسف ﷺ : "اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا" قال : كان يوسف ﷺ أعلم بالله من أن يعلم أن قميصه يرد على يعقوب ﷺ بصره ،

---

(١)﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ۞ ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ يوسف : ٨٠-٨١.

(٢) يوسف : ٨٣-٨٦.

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ، المجلد الثاني ، ص ٦٠٨.

(٤) يوسف : ٩٣-٩٥.

(٥) انظر عادل محمد الرحامنة ، خروج بني إسرائيل من مصر والمجتمعات المعاصرة له في غربي الشرق الأدنى القديم ، رسالة دكتوراه ، مكة المكرمة ، ١٩٩٨، المجلد الأول ، ص ١٠٥. وانظر أيضا جهاد محمد حجاج ، إسرائيل "حياتهم وتاريخهم"، العلم والإيمان ، دسوق ، ٢٠٠٤-٢٠٠٥، ص ١٤.

ولكن ذلك قميص إبراهيم ﷺالذي ألبسه الله في النار من حرير الجنة ، وكان كساه اسحق ﷺ ، وكان اسحق ﷺ كساه يعقوب ﷺ، وكان يعقوب ﷺ أدرج ذلك القميص في قصبة من فضة وعلقه في عنق يوسف ﷺ لما كان يخاف عليه من العين ، وأخبره جبريل بأنْ أرسل قميصكَ فإن فيه ريح الجنة ، وإن ريح الجنة لا يقع على سقيم ولا مُبتلًى إلا عُوفيَّ. وقال الحسن : لولا أن الله تعالى أعلم يوسف ﷺ بذلك لم يعلم أنه يرجع إليه بصره ، وكان الذي حمل قميصه يهوذا ، قال ليوسف ﷺ : أنا الذي حملت إليه قميصك بدم كذب فأحزنته وأنا الذي أحمله الآن لأسره وليعود إليه بصره ، فحمله ، حكاه السدي.)[1]

﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

يقول القرطبي : قوله تعالى ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ **أي على عينيه.)**[3].

يقول ابن كثير: (والبشير قيل البريد ، وقال مجاهد والسدي : كان يهوذا بن يعقوب.

قال السدي : إنما جاء به لأنه هو الذي جاء بالقميص وهو ملطخ بدم كذب ، فأراد أن يغسل هذا بذاك ، فجاء بالقميص فألقاه على وجه أبيه ، فرجع بصيراً.)(٤)

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ، المجلد الخامس ، ص ٢٣٣.

(٢) يوسف : ٩٦.

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن ، المجلد الخامس ، ص ٢٣٦.

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ، المجلد الثاني ، ص٦٠٩.

المبحث الثاني

نشأة موسى ببيت فرعون وسبب هروبه

تمهيد :

أشار العهد القديم وأيضاً القرآن الكريم إلى كيفية نجاة موسى ﷺ وليداً من الذبح ، بل وتربيته ببيت فرعون. ولكن نجد اختلافاً فيمَنْ التقطته حينما ألقته أمه باليم ، هل كانت ابنة فرعون أم زوجته ؟ أيضاً بعد أن نشأ موسى ﷺ وترعرع ببيت فرعون - وكان يُعرف بابن فرعون وقيل أنه كان من كبار الضباط العسكريين في البيت الفرعوني – ارتكب واقعة قتل المصري التي تحدث عنها سفر الخروج من العهد القديم وأيضا القرآن الكريم ، نجد اختلافاًحول التكييف القانوني لهذا الفعل الذي اجترحه موسى ﷺ هل كان قتلا عمداً بسيطا أم قتلا مشدداً مقترنا بظرف سبق الإصرار أم كان قتلا خطأ ؟

ومن ثم سنتناول الخلافَ الأول في المطلب الأول ؛ ثم الخلاف في تكييف قتل موسى في المطلب الثاني.

المطلب الأول

موسى لقيط لابنةِفرعون أم لزوجته ؟

باستقراء صدر سفر الخروج سنجد قصة ميلاد موسى ﷺ وهي تقريبا كما وردت بالقرآن الكريم إلا نقطة تستعصي على التقريب. **وهي تتعلق بمن التقطت موسى ﷺ وأمرت بتربيته هل هي بنت أم زوجة فرعون** ؟ في التوراة كانت بنت فرعون بينما القرآن الكريم يؤكد لنا أنها كانت زوجة فرعون. وسوف نسوق الآيات أولا من سفر الخروج ثم نعقبها بآيات القرآن الحكيم.

ذكرت التوراةُ أن يوسف ﷺ أحد أبناء يعقوب ﷺ عندما صار وزيراً لأحد الفراعنة دعا أباه أن يغادر بلادَ الأردن بسبب القحط ليسكن وجميع أهل بيته التخوم الشرقية من مصر[(١)].

(١) انظر د. شريف حامد سالم ، نقد العهد القديم "دراسة تطبيقية على سفري صموئيل الأول والثاني"، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط ١، ٢٠١١ ، ص ١٨-٢١. ويرى كثير من الباحثين أن دخول بني إسرائيل مصر قد حدث خلال حكم الهكسوس لمصر أي خلال السنوات (١٧٢٠-١٥٧٠ ق.م). انظر أبراهام مالمات ، العبرانيون وبني

وكان عدد بني إسرائيل عندما أتوا مصر سبعين نسمة ، وظلّوا في تلك الأرجاء قرونا كثيرة بعد موت يوسف ﷺ وكل إخوته وجميع ذلك الجيل ، على قول التوراة[١] ، حتى صار عددهم ستمائة ألف رجل عدا النساء والأولاد[٢]. ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسفﷺ ، وخاف المصريون من كثرة بني إسرائيل وأنهم قد ينضموا إلى أعدائهم في يومٍ ما ،

إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية ، ترجمة د. رشاد الشامي ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠١، الجزء الأول ، ص ١٢١- ١٢٦. وقد انبرى العلامة صابر طعيمة في تفنيد ذلك وذكر أنه قد وقع بعضُ الكُتَّابِ القدامى والمحدثين في اللبس بسبب ما ذكره المؤرخ اليهودي "يوسيفوس" من أن العبرانيين من أبناء يعقوب هم من الهكسوس الذين حكموا مصر ، لذا سمحوا لأبناء جلدتهم من آل يعقوب بدخول أرض مصر. والحقيقة التاريخية هي أن الآباء الأول للعبرانيين ليسوا مطلقا من الهكسوس ، حيث لم يكن للعبرانيين من وجود قبل قدومهم إلى مصر بناءاً على دعوة يوسف بن يعقوب عليهما السلام لأهله وقومه للعيش في جاسان - وكان عددهم كلهم فيما قيل سبعين نفسا - وموافقة الفرعون المصري آنذاك على ذلك. وأما الصلات التاريخية الأولى لبني إسرائيل واليهود في مصر الفرعونية فبدأت حوالي عام ١٦٥٠ ق.م. بعد أن حَلَّ بمنطقة آسيا كلها قحط وجدب ودخلوا بناءا على دعوة يوسف لهم. وتلك كانت البداية لدخول العبرانيين واليهود مصر ، فقد جاؤوها سائلين مستَجدين. أما الهكسوس فقد دخلوا مصر في الأسرة الثالثة عشرة بقيادة ملكهم "سالانيس" حتى نهاية السابعة عشرة أي من ١٧١٠ ق.م. حتى عام ١٤٥٧ ق.م. انظر مؤلفه : التَّاريخ اليَهُودي العام ، دار الجيل ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٩١ ، الجزء الأول ، ص ٣٧-٣٨ ؛ ص ٤٤-٤٦ ؛ ص ٧١-٧٦. بينما يرى المؤلف عمُّون أن الأسرة الخامسة عشرة إلى السابعة عشرة هي أول الهكسوس أي الرعاة في مصر الفرعونية. جاءوا إليها ليغزوها بينما كانت البلاد في حالة اضطراب وقلق فاستولوا عليها وحكموا فيها نحو ٥٠٠ سنة. انظر هند اسكندر عمُّون ، تاريخ مصر القديم والحديث "التاريخ القديم"، مطبعة المعارف، القاهرة ، ١٩١٣، ص ٩-١٠.

(١) ورد بالتوراة أن إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر كانت أربَعَ مِئَةٍ وثَلاثينَ سنَةً. وأنه عند نهاية أربَعِ مِئَةٍ وثَلاثينَ سنَةً ، في ذلك اليوم خرج جميع أجناد الرَّبِّ من مصر. انظر ماكس لوكيدو ، راندي فريزي ، القصة "قصة تعاملات الله مع الإنسان"، مأخوذ من الترجمة العربية للكتاب المقدس (ترجمة فاندايك)، دار الكتاب المقدس ، القاهرة ، ط ٢ ، ٢٠١٦ ، ص ٥٥. بينما يناقض الفقيه ابنُ حزم هذه المدة فيقلصها إلى مائتين وسبعة عشر عاماً فقط. انظر عبد الوهاب طويلة، تَورَاةُ اليَهُود والإمامُ ابنُ حَزمٍ الأندلسي، المرجع السابق،"اضطراب التوراة في مدة بقاء بني إسرائيل بمصر"،ص ٢٩٦-٢٩٨.

(٢) انظر شارل سنيوبوس ، تاريخ الحضارة ، تعريب محمد كردي ، مطبعة الظاهر ، القاهرة ، بدون تاريخ للنشر ، ص ٤١.

فاستعبد المصريون بني إسرائيل بعنف ومرروا حياتهم بكثرة الأعمال الشاقة[١]. وأمر مَلكُ مصرَ بقتل كل ذكر للعبرانيين حيث أمر قابلتي العبرانيات - اللَّتَيْنِ اسْمُ إِحْدَاهُمَا شِفْرَةُ وَاسْمُ الأُخْرَى فُوعَةُ – بقتل أي ذكر يولد لبني إسرائيل ، فخافت القابلتان مقام ربهما وعصت فرعون بعلة وهمية ، فأمر الأخير بطرح أي مولود ذكر يُولَد في النهر ليُقتَل[٢].

وبعد حين من الزمان ولدت امرأة من بيت لاوي ذكراً ، ولما رأته أنه حسن، خَبَّأته ثلاثة أشهر. وخوفا أن يسمع فرعونُ به فيقتله ، ولما لم يمكنها أن تخبئه بعد ، أخذت له سفطاً من البردي وطلته بالحمر والزفت، ووضعت الولد فيه، ووضعته بين الحلفاء على حافة النهر. ووقفت أخته ترقبه من بعيد لتعرف ماذا يُفعَلَ به[٣]. وقد قص علينا القرآنُ الكريمُ هذا كله تماما كما هو بالتوراة[٤].

« فَنَزَلَتِ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ إِلَى النَّهْرِ لِتَغْتَسِلَ، وَكَانَتْ جَوَارِيهَا مَاشِيَاتٍ عَلَى جَانِبِ النَّهْرِ. فَرَأَتِ السَّفَطَ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ، فَأَرْسَلَتْ أَمَتَهَا وَأَخَذَتْهُ[٥] ، فَقَالَتْ أُخْتُهُ لابْنَةِ فِرْعَوْنَ : "هَلْ أَذْهَبُ وَأَدْعُو لَكِ امْرَأَةً مُرْضِعَةً مِنَ الْعِبْرَانِيَّاتِ لِتُرْضِعَ لَكِ الْوَلَدَ؟ "فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ :"اذْهَبِي"، فَذَهَبَتِ الْفَتَاةُ وَدَعَتْ أُمَّ الْوَلَدِ، فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ :"اذْهَبِي بِهذَا الْوَلَدِ وَأَرْضِعِيهِ لِي وَأَنَا أُعْطِي أُجْرَتَكِ". فَأَخَذَتِ الْمَرْأَةُ الْوَلَدَ وَأَرْضَعَتْهُ" [٦]، وَلَمَّا كَبِرَ الْوَلَدُ جَاءَتْ بِهِ إِلَى ابْنَةِ فِرْعَوْنَ فَصَارَ لَهَا ابْنًا، وَدَعَتِ اسْمَهُ "مُوسَى" وَقَالَتْ: "إِنِّي انْتَشَلْتُهُ

---

(١) لنظرة مجملة حول تاريخ بني إسرائيل : انظر د. علي عبد الواحد وافي ، اليهودية واليهود "بحُث في ديانة اليهُود وتاريخهم ونظامِهم الاجتماعي والاقتصادي" ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط ٢، ١٩٨١ ، ص ١١٢-١١٣.

(٢) انظر في ذلك سفر الخروج ، الإصحاح ١ : ٦-٢٢.

(٣) انظر في ذلك ماكس لوكيدو ، راندي فريزي ، القصة "قصة تعاملات الله مع الإنسان"، المرجع السابق ، ص ٤٦.

(٤) انظر في ذلك : سفر الخروج ، ٢ : ١-٤. وسورة القصص : ٧ ؛ ١٠-١١.

(٥) سفر الخروج ، ٢ :٥.

(٦) «فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ :"اذْهَبِي بِهذَا الْوَلَدِ وَأَرْضِعِيهِ لِي وَأَنَا أُعْطِي أُجْرَتَكِ". فَأَخَذَتِ الْمَرْأَةُ الْوَلَدَ وَأَرْضَعَتْهُ"»يذكرنا هذا بقول الحق تبارك وتعالى : ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ۝ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ القصص : ١٢-١٣. وطه : ٤٠.

مِنَ الْمَاءِ"».[١]

والمستفاد من «وَأَرْضِعِيهِ لِي» ؛ «وَلَمَّا كَبِرَ الْوَلَدُ جَاءَتْ بِهِ إِلَى ابْنَةِ فِرْعَوْنَ فَصَارَ لَهَا ابْنًا...»أن ابنة فرعون قد تبنت الطفل[٢]. ولكن هل مَنْ تبنته كانت ابنة فرعون أم زوجة فرعون ؟ فطبقا لنصوص هذا الإصحاح من العهد القديم كانت ابنة فرعون.

وقد ورد في تفسير لهذه الآيات ما نصه : (مَن كانت ابنة فرعون هذه ؟ هناك تفسيران مشهوران : (١) يظن البعض أن حتشبسوت هي التي انتشلت موسى من النهر ، وكان زوجها هو تحتمس الثاني. ومن الواضح أن حتشبسوت كانت عاقراً ، ولذلك كان لتحتمس ولد من امرأة أخرى أصبح وارثاً للعرش. ولابد أن حتشبسوت اعتبرت موسى "عطية من الآلهة" إذ أصبح لها الآن ابن يمكن أن يكون الوارثَ الشرعيَّ للعرش. (٢) ويظن الكثيرون أن الأميرة التي أنقذت الطفل موسى ، كانت ابنة رمسيس الثاني الذي كان يشتهر بالقسوة ، فجعل حياة العبيد العبرانيين تعيسة.)[٣]

وبالرجوع إلى التفسير الأول وهو أن حتشبسوت هي التي انتشلت موسى ﷺ من النهر نجد أنه افتراض باطل ومستبعد[٤] ، فليست حتشبسوت حقيقةً هي التي وجدت موسى ﷺ، لأن

---

(١) سفر الخروج ، ٢ : ٧-١٠. ورد أن اسم موسى في العبرية : "موشيه" ، ومعناه "المنتشل من الماء". انظر الكتاب المقدس بالخلفيات التوضيحية ، المرجع السابق ، ص ٩٨.

(٢) انظر الكتاب المقدس بالخلفيات التوضيحية ، المرجع السابق ، ص ٩٨.

(٣) انظر التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ، المرجع السابق ، ص ١٣٢.

(٤) الملكة حتشبسوت هي الخامسة ضمن تسلسل ملوك الأسرة الثامنة عشرة، حكمت بعد وفاة زوجها الملك تحتمس الثاني كوصية على الملك الصغير تحتمس الثالث في البداية ثم كملكة وابنة الإله آمون بعد أن نشرت قصة نقشتها في معبدها بالدير البحري. وحتشبسوت أبرز الملكات اللاتي حكمن مصر، وأقواهن نفوذًا في تاريخ الأسرة الثامنة عشرة وفي تاريخ مصر القديم كله. والملك أحمس الأول ، محرر مصر من الهكسوس ، هو الجد الأكبر لحتشبسوت، ومؤسس الأسرة الثامنة عشر الفرعونية التي تنتمي إليها. وكانت حتشبسوت الوريثة الشرعية لعرش البلاد، فلم يكن هناك وريث شرعي من الذكور، ولكن كان لها أخ غير شقيق من أبيها هو تحتمس الثاني، من زوجة ثانوية تدعى (موت نفرت). ودون الدخول في تفاصيل فترة حكم حتشبسوت فقد اتسمت فترة حكمها بالسلام والرفاهية. ويقدر المؤرخ المصري القديم (مانيتون)، فترة حكمها بـ ٢١ سنة، وتسعة أشهر. وتوفيت حتشبسوت في ١٤ يناير ١٤٥٧ قبل الميلاد خلال العام ٢٢ من فترة حكمها ، كما جاء ذلك في كتابة على لوحة

علماء الآثار يتواترون على أن حتشبسوت ماتت موتة طبيعية لإصابتها بالسرطان أو السكري[١]. بينما سنعرف أنَّ مَنْ وجدت موسى ﷺ وربته وتبنته كابن لها وآمنت به ماتت معذبة على يد فرعون كما سيأتي في سورة التحريم. فيلزم منه استبعاد الفرض الأول ، ولا يبقى لنا إلا الفرض الثاني الموافق لنصوص التوراة والذي يعتقده الكثيرون أنها كانت ابنة رمسيس الثاني. أي ليست زوجته.

فقولهم (ويظن الكثيرون أن الأميرة التي أنقذت الطفل موسى ، كانت ابنة رمسيس الثاني الذي كان يشتهر بالقسوة) موافق لظاهر نصوص الآيات من التوراة ، وهو الفرض الذي يبقى فعلا.

وإذا استطلعنا الأمر في القرآن الكريم **وجدناه يتحدث قولا واحدا عن زوجة فرعون لا ابنته**. وقد ذكر قصة التقاط موسى ﷺ وهي ذات الأحداث سوى الاختلاف الذي سُقناه. قال الله تعالى : ﴿**فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ۞ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا**

وجدت بأرمنت. ولقد تم التحقق من مومياء حتشبسوت، وأن علامات موتها هي علامات لموت طبيعي ، وأن سبب موتها يرجع إلى إصابتها بالسرطان أو السكري.)انظر :

https://www.masrawy.com/news/news_egypt/details/2024/2/9/2535733/%D9%85%D9%84%D9%83%D8%A7%D8%AA-%D9%85%D8%B5%D8%B1-%D8%AD%D8%AA%D8%B4%D8%A8%D8%B3%D9%88%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%A3%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%AF%D9%8A%D8%A9

(١) وفي موضع آخر نقرأ : (توفيت حتشبسوت في ١٠ من الشهر الثاني لفصل الخريف (يوافق ١٤ يناير ١٤٥٧ قبل الميلاد) خلال العام ٢٢ من فترة حكمها. جاء ذلك في كتابة على لوحة وجدت بأرمنت. ... وقد اعتُقد في الماضي أنها قتلت بسبب التنازع على الحكم، ولكن تم التحقق الآن من مومياء حتشبسوت وهي تبدي بوضوح علامات موت طبيعي، وأن سبب موتها يرجع إلى إصابتها بالسرطان أو السكري. وقبرها موجود في وادي الملوك ويرمز له بالرقم KV20.وربما قامت حتشبسوت بتوسيع مقبرة أبيها لكي تستعملها، ووجد تابوتها بجانب تابوت أبيها). انظر:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AD%D8%AA%D8%B4%D8%A8%D8%B3%D9%88%D8%AA

يَشْعُرُونَ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ۞ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

يقول أهل التفسير **(وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)** .... وذلك أن فرعون أمر ذباحيه أن يقتلوا الذكور من مواليد بني إسرائيل عاما ويتركوا عاما حتى لا يفنى الرجال من بني إسرائيل فيتجشم المصريون القدماء أعمال السخرة التي كان يُكلَّف بها الإسرائيليون. أما بناتهم فيستحيون إذ لا خوف على ملك فرعون منهم. فحملت أم موسى أولا بهارون ووضعته جهاراً دون خوف لأنه كان في عام عدم ذبح الذكور ، وفي العام التالي وضعت موسى فأخفته ، وأمرها الله أن ترضعه فإذا خافت عليه فلتلقه باليم ولا تخشى. وقد ورد بآيات القرآن الكريم ما هو غني عن البيان وأفصح حالا للمقال. ثم انتهى الماء به حتى أوفى عند مستقى جواري امرأة فرعون واسمها آسية بنت مزاحم[2] فلما رأين التابوت هممن أن يفتحنه، فقال بعضهن : إن هذا مالا ، وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأةُ الملك بما وجدنا فيه ، فحملنه كهيئته لم يُخرجن منه شيئا حتى رَفعنَه إليها. فلما فتحته رأت فيه غلاماً. فألقى الله عليها منه محبةً لم يُلقَ منها على أحد قط.... فلما سمع الذباحون بأمره ، أقبلوا بشفارهم إلى امرأة فرعون ليذبحوه ، فقالت لهم : أقروه فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل حتى آتي فرعون فأستوهبه منه ، فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم ، وإن أمر بذبحه لم أُلُمْكُم. فأتت فرعون فقالت : "**قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ**"[3]. فقال فرعون : يكون لكي فأما لي فلا حاجة لي فيه. فقال رسول الله :("وَالَّذِي يُحْلَفُ

---

(١) القصص ، ٨-١٣. أيضا قوله تعالى : ﴿**إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ۞ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ۞ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ...**﴾ طه ، ٣٨-٤٠.

(٢) انظر ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، المجلد الثالث ، ص ٤٦٧.

(٣) يقول القرطبي : ﴿**وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ**.... ﴾ يروى أن آسية امرأة فرعون رأت التابوت يعوم في البحر ، فأمرت بسوقه إليها وفتحه ، فرأت فيه صبيا صغيراً فرحمته وأحبته ، فقالت لفرعون: (**قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ**

بِهِ لَوْ أَقَرَّ فِرْعَوْنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ قُرَّةَ عَيْنٍ كَمَا أَقَرَّتْ، لَهَدَاهُ اللهُ بِهِ كَمَا هَدَى بِهِ امْرَأَتَهُ، وَلَكِنَّ الله حَرَمَهُ ذَلِكَ".)[١]

فأرسلت امرأة فرعون إلى مَنْ حولها ، إلى كل امرأة لها لبن لتختار له ظئراً ، فجعل كلما أخذته امرأة منهن لتُرضعه لم يُقبِل على ثديها حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت ، فأحزنها ذلك ، فأمرت به فأخرج إلى السوق ومجمع الناس ، ترجو أن تجد له ظئراً تأخذه منها ، فلم يقبل ، وأصبحت أم موسى والِهاً ، فقالت لأخته قصي أثره واطلبيه ، هل تسمعين له ذِكراً ، أحي ابني أم قد أكلته الدواب ...فبصرت به أخته بدون أن يشعروا فقالت من الفرح حينما وجدته وقد أعياهم أن يجدوا له ظئرا ترضعه أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون. فأخذوها فقالوا ما يدريك ؟ ما نصحهم له ؟ هل يعرفونه ؟ حتى شكوا في ذلك. فقالت نُصحُهم له وشفقتهم عليه رغبتهم في ظُؤُرة الملك ، ورجاء منفعة الملك ، فأرسلوها فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر ، فجاءت أمه ، فلما وضعته في حجرها نَزاَ إلى ثديها فمصه ، حتى امتلأ جنباه ريًّا ، وانطلق البشراء إلى امرأة فرعون يبشرونها : أن قد وجدنا لابنك ظئرا. فأرسلت إليها ، فاتت بها وبه ، فلما رأت ما يصنع بها قالت امكثي ترضعي ابني هذا ، فإني لم أحب شيئاً حبه قط. قالت أم موسى : لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فيضيع ، فان طابت نفسك أن تعطينيه فأذهبَ به إلى بيتي ، فيكون معي لا ألوه خيراً فعلت ، وإلا فإني غير تاركة بيتي وولدي . ... فتعاثرت على امرأة فرعون وأيقنت أن الله منجز وعده فرجعت به إلى بيتها من يومه ... فلما ترعرع قالت امرأةُ فرعون لأم موسى : أتريني ابني ؟

عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ أي "عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا" فنصيب منه خيراً ، "أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا" وكانت لا تلد ، فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها). انظر الجامع لأحكام القرآن ، المجلد السابع ، ص ٢٢٦. وانظر جمال الدين الزيلعي ، تخريج أحاديث الكشاف، دار ابن خزيمة ، الرياض ، ط ١، ١٤١٤ هـ ، ج ٣ ، ص ٢٧، برقم ٩٣٢.

(١) الحديث أخرجه الطبري ، تفسير الطبري جامع البيان ، دار التربية والتراث ، مكة المكرمة ، بدون تاريخ نشر ، جزء ١٩ ، ص ٥٢٥. وانظر تفسير الماوردي "النكت والعيون"، ج ٤ ، ص ٢٣٧ ، حديث رقم ٨٩. مكي بن أبي طالب ، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ...، ج ٧ ، ص ٦٤٠. موسوعة التفسير المأثور ، ج١٧ ، ص ٢٧ ، حديث رقم : ٥٨١٦٩ وما بعده.

فوعدتها يوما تربها إياه فيه ، وقالت امرأةُ فرعون لخزانها وظُؤُرها وقهارمتها : لا يبقين أحد منكم إلا استَقبَلَ ابني اليوم بهدية وكرامة لأرى ذلك ، وأنا باعثة أميناً يُحصي ما يصنع كُلُّإنسان منكم ، فلم تزل الهدايا والنحل والكرامة تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون ، فلما دخل عليها نَحَلته وأكرمته وفرحت به ، ونحلت أمه لحسن أثرها عليه ، ثم قالت لآتين به فرعون فلينحلنه وليكرمنه ، فلما دخلت به عليه جعله في حجره. فتناول موسى لحية فرعون يمدها إلى الأرض فقال الغواة من أعداء الله لفرعون : ألا ترى ما وَعَدَ اللهُ إبراهيم نبيه إنه زعم أن يرثك ويعلوك ويصرعك. فأرسل إلى الذبَّاحين ليذبحوه. فجاءت امرأةُ فرعون فقالت : ما بدا لك في هذا الغلام الذي وهبته لي ؟ فقال : ألا ترينه يزعمُ أنه يصرعني ويعلوني ؟ فقالت اجعل بيني وبينك أمراً يعرف فيه الحق ، ائتِ بجمرتين ولؤلؤتين ، فَقَرِّبْهُنّ إليه فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين فاعرف أنه يعقل. وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين علمت أن أحداً لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل ، فقرَّب إليه فتناول الجمرتين ، فانتزعهما منه مخافة أن يحرق يديه ، فقالت المرأةُ ألا ترى ؟ فصرفه اللهُ عنه بعد ما كان قد هَمَّ به.فتربى موسى في بيت فرعون وعلى فراشه وغُذِّيَّ بطعامه وكان فيه ما أمر الله به[١].

وأيضا هنالك العديد من الآيات القرآنية التي تؤكد قصة موسى وأن زوجة فرعون هي التي التقطته وتبنته وليستابنته[٢]. وأن زوجته هي التي تولت تربيته كابن لها وآمنت به فيما بعد. ولقد أقرت بذلك عالمة المصريات نوبلكور حيث قالت : (وهكذا ، عرفنا أيضا أن موسى هو الابن المتبنى لزوجة فرعون ... فليس ذلك بمستحيل أبداً.)[٣] وقد ورد ذكر زوجة فرعون هذه – وهي التي آمنت بموسى وقت أن أصبح ﷺ نبياً – في موضع آخر من القرآن الكريم مما يثبت

(١) انظر ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، المجلد الثالث ، ص ١٨٤-١٨٦. وص ٤٦٦-٤٦٨.

(٢) انظر عادل الرحامنة ، خروج بني إسرائيل من مصر.."، رسالته للدكتوراه، المرجع السابق، المجلد الأول، ص١٤٩-١٥٠.

(٣) انظر كريستيان نوبلكور ، رمسيس الثاني فرعون المعجزات (Ramses II : La Veritable Histoire) ، المرجع السابق ، ص ٢٣٦.

به محل البحث هنا وأنها زوجة فرعون لا ابنته. يقول الله تعالى : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[١]

قال القرطبي في تفسيرها : (قوله تعالى "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ" واسمها آسية بنت مزاحم ، .... وقيل هذا حث للمؤمنين على الصبر في الشدة ، أي لا تكونوا في الصبر عند الشدة أضعف من امرأة فرعون حين صبَرت على أذى فرعون ، وكانت آسية آمنت بموسى ﷺ، وقيل هي عمة موسى آمنت به، قال أبو العالية : اطَّلَع فرعونُ على إيمان امرأته فخرج على الملأ فقال لهم : ما تعلمون من آسية بنت مزاحم ؟ فأثنوا عليها ، فقال لهم إنها تعبد رَبّاً غيري ، فقالوا له : اقتلها، فأوتد لها أوتاداً وشدّ يديها ورجليها فقالت "رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ" ووافق ذلك حضور فرعون ، فضحكت حين رأت بيتها في الجنة ، فقال فرعون : ألا تعجبون من جنونها ! إنا نعذبها وهي تضحك ، فقبض روحها.)[٢]

المطلب الثاني
التكييف القانوني لقتل موسى للمصري

عَلِمنَا سابقاً أن موسى ﷺ نشأ وتربى في بيت فرعون بأمر من الله تعالى. ثم حينما كبر موسى ﷺ في بيت فرعون عُرِفَبأنه"موسى بن فرعون"[٣]. ولكن موسى ﷺ اصطفاه الله وجعله نبياً، وبدأت بوادر الخلاف والشقاق تدب بين موسى ﷺ ومَنْ تربَّى في بيته ، لأن موسى ﷺ أَنكَرَ على فرعون وعلى قومه عبادةَ أحدٍ من دون الله.

وباستقراء سفر الخروج وسورة القصص نجد تشابهاً إلى حد كبير بشأن واقعة قتل سيدنا موسى ﷺ للقبطي. بيد أننا سنلحظ وجودَ فارقٍ جوهريٍ في طبيعة القتل الذي ارتكبه موسى

---

(١) التحريم : ١١.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن، المجلد التّاسع، ص ٤٢٥. ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، المجلد الرابع، ص٤٧٠-٤٧١.

(٣) ولذا ادعى شطط سيغموند فرويد أن موسى كان مصرياً نبيل الأصل. وأن أسطورة إلقائه في اليم هي خرافة من نسيج اللاويين العبرانيين. انظر مؤلفه : موسى والتوحيد ، المرجع السابق ، ص ١٥-١٩ ؛ وما بعدها.

ﷺ. هل هو قتل بسيط أم قتل مشدد لاقترانه بظرف أو بظروف مشددة ؟ أم قتل خطأ ؟ أم هو تكييف آخر غير كل هذا ؟ مما يتعين علينا عرض المسألة محل البحث من التوراة ومن القرآن الكريم وأيضاً من الناحية القانونية لمعرفة الحكم الصحيح لهذا الفعل من جهة الفلسفة القانونية والتاريخية للنصوص الشرعية.

جاء في السفر الثاني من أسفار التوراة : «**وَحَدَثَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ لَمَّا كَبِرَ مُوسَى أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى إِخْوَتِهِ لِيَنْظُرَ فِي أَثْقَالِهِمْ، فَرَأَى رَجُلًا مِصْرِيًّا يَضْرِبُ رَجُلًا عِبْرَانِيًّا مِنْ إِخْوَتِهِ، فَالْتَفَتَ إِلَى هُنَا وَهُنَاكَ وَرَأَى أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ، فَقَتَلَ الْمِصْرِيَّ وَطَمَرَهُ فِي الرَّمْلِ. ثُمَّ خَرَجَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَإِذَا رَجُلاَنِ عِبْرَانِيَّانِ يَتَخَاصَمَانِ، فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: «لِمَاذَا تَضْرِبُ صَاحِبَكَ؟**» «**فَقَالَ: «مَنْ جَعَلَكَ رَئِيسًا وَقَاضِيًا عَلَيْنَا؟ أَمُفْتَكِرٌ أَنْتَ بِقَتْلِي كَمَا قَتَلْتَ الْمِصْرِيَّ؟» فَخَافَ مُوسَى وَقَالَ: «حَقًّا قَدْ عُرِفَ الأَمْرُ.**» «**فَسَمِعَ فِرْعَوْنُ هذَا الأَمْرَ، فَطَلَبَ أَنْ يَقْتُلَ مُوسَى. فَهَرَبَ مُوسَى مِنْ وَجْهِ فِرْعَوْنَ وَسَكَنَ فِي أَرْضِ مِدْيَانَ، وَجَلَسَ عِنْدَ الْبِئْرِ**»[(١)].

وفي طبعة أخرى للكتاب المقدس نقرأ : (**وحدث بعد أن كبُرَ موسى أنه ذهبَ ليتفقد إخوته العبرانيين ويشهد مشقَّتَهُم ، فَلَمَحَ رَجُلًا مصرِيًّا يَضْرِبُ رَجُلًا عِبْرَانِيًّا ، فَتَلَفَّتَ حَوْلَهُ ، وإذ لم يجد أحداً هُناكَ قَتَلَ المِصْرِيَّ وَطَمَرَهُ فِي الرَّمْلِ.** .....)[(٢)]

---

(١) سفر الخروج ، ٢ :١١-١٥.

(٢) انظر التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ، طبعة ٢٠٠٩، سفر الخروج ، ٢ :١١-١٥. وانظر ماكس لوكيدو ، راندي فريزي ، القصة "قصة تعاملات الله مع الإنسان"، المرجع السابق ، ص ٤٦-٤٧. بينما ذهب الكاتب اليهودي "فيلو" في تأريخه للحوادث إلى تبرير قتل موسى للقبطي بأن : (موسى بسبب كونه نبيا كان يحاول جاهدا أن يُصبِّرَ بني إسرائيل المسخرين المعذبين في مصر بعباراته المشجعة ، ولكن لم يكن في إمكانه أن يرفع عن قومه ظلما أو يردع الظالمين. وهذا البؤس الذي خيم على قومه والظلم الذي حاق بهم أثار موسى وأثقل قلبه بسبب أن رجلا واحدا كان أقسى رجل بين رؤساء العمال من قومه أثار غضب موسى أكثر من أي إنسان آخر في قسوته وشدته وظلمه لهم ، فقتله موسى. وقد اعتبر موسى قتلَ هذا الرجل عدلا "وكان ذلك عدلاً فالإنسان الذي يعيش لقتل الآخرين يجب أن يُقتل"). انظر د. عبد المحسن الخشّاب ، تاريخ اليهود القديم بمصر ، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ١٩٨٩، ص ٣٢-٣٣. وهذا القول من فيلو جهالة مطبقة ، لأن الوحي أنزل بشهادة التوراة والقرآن على موسى وهو عائد من مدين تجاه مصر ، وهذا العمل من موسى كان قبل النبوة ، ثم إنه ندم على

ومعنى هذا أن موسى ﷺ **ارتكب جريمة القتل عمداً** وليس خطأً ولا شبه عمد ، أو بالأحرى لم تكن جريمته بلغتنا القانونية المعاصرة "ضرب مفضي إلى موت" ، لأنه عزم على قتل المصري بدليل هذه الآية سالفة الذكر(**فَالْتَفَتَ إِلَى هُنَا وَهُنَاكَ وَرَأَى أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ، فَقَتَلَ الْمِصْرِيَّ**) أو بلفظ الطبعة الأخرى للكتاب المقدس : (**فَتَلَفَّتَ حَوْلَهُ ، وإذ لم يجد أحداً هُناكَ قَتَلَ المِصْرِيَّ**).

وهذا ما يؤكده قول المفسرين للكتاب المقدس : (حاول موسى أن يتأكد من أن أحداً لا يراه ، قبل أن يقتل المصري. ولكن ، كما ثبت فيما بعد ، رآه أحدهم ، فاضطر موسى أن يهرب من البلاد.)[١]

بل من مفسري الكتاب المقدس مَنْ ذهبوا لأبعد من هذا ، فأصبغوا تكييفاً قانونياً لفعل موسى ﷺبأنه قتل متعمد مع سبق الإصرار والترصد – وهذا خطأ بحت في نظرنا لما سيأتي – فقالوا : (**فَالْتَفَتَ .... هُنَاكَ**) : (عبارة تؤكد سبق الإصرار والترصد عند موسى. **"طَمَرَهُ فِي الرَّمْلِ**" : أي "دفنه في الرمال"، والمتوفرة في صحراء مصر ويسهل حفرها)[٢].

ونحن نخالف في ذلك لأن القتل المقترن بسبق الإصرار أو بالترصد هو قتل مقترن بظرف مشدد[٣]. والظرف الأول (سبق الإصرار) متعلق بالجاني (بنفسيته) أي بعزمه وتصميمه مسبقاً

قتله المصري بسبب وكزته له ، فلم يكن قاصداً قتله. قال تعالى : ﴿... **فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ**﴾القصص : ١٥-١٧.

(١) انظر التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ، طبعة ٢٠٠٩، تفسير سفر الخروج ، ٢ : ١٢-١٤، ص ١٣٣.

(٢) انظر الكتاب المقدس بالخلفيات التوضيحية، ط ٢٠٢١، المرجع السابق، ص ٩٨، تفسير سفر الخروج ، ٢: آية١٢.

(٣)الظروف التي تغير من وصف الجريمة هي عناصر تدخل في تكوينها كي تحدد وصفها القانوني بين مجموعة من الجرائم تحمل اسماً واحداً.فالقتل العمد له صورة بسيطة تقوم بمجرد توافر أركانه الخاصة (المادة ٢٣٤ من قانون العقوبات، الفقرة الأولى) ، ولكن قد يتوافر له عنصر إضافي كسبق الإصرار أو الترصد (المادة ٢٣٠ من قانون العقوبات) ؛ أو يرتكب عن طريق السم(المادة ٢٣٢ من قانون العقوبات) ، أو يكون الجاني زوجاً فاجأ

على تحقيق النتيجة وهي إزهاق روح المجني عليه[1]. بينما الظرف الثاني (الترصد) متعلق

زوجتَه متلبسةً بالزنا فقتلها في الحال هي ومَنْ يَزني بها (المادة ٢٣٧ من قانون العقوبات) ، فتعد هذه العناصر ظروفاً خاصة للقتل تُغَيِّر من وَصفِهِ. وإذا غيَّرالظرفُ من وَصفِ الجريمة كان لهذا التغيير مظهر يدل عليه ، هو خضوع الجريمة مقترنة بالظرف لنص قانوني مختلف عن النص الذي كانت تخضع له وهى متجردة من هذا الظرف. والظروف المشددة للعقاب نوعان : نوع يكون التشديد فيه جوازياً كالعود ، ونوع يكون التشديد فيه وجوبياً كسبق الإصرار في القتل أو الترصد أو القتل بالسم. انظر د. محمود نجيب حسني ، شرح قانون العقوبات، القسم العام ، النظرية العامة للجريمة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٢، ص ٤٦- ٤٨.

(١) يقول الدكتور جندي عبد الملك عن سبق الإصرار: يجب فيما يتعلق بتحضير الجريمة مراعاة النية أي قصد مخالفة القانون. وهذا القصد يكون نتيجة التروي والتدبر. وهذا الظرف له أثره في تقدير الجريمة والعقوبة. ولذلك فرقت التشريعات الجنائية بين الأفعال التي يرتكبها الجاني من تلقاء نفسه تحت تأثير عامل الغضب ؛ والأفعال التي تُرتكب بعد ترو أي بعد سبق إصرارٍ. وقانون العقوبات المصري يَعتبِر سبقَ الإصرارِ ظرفاً مشدداً قانونياً في أحوال جناية القتل وفي جرائم الضرب والجرح على جميع أشكالها (...). وقد عرَّف المشرعُ سبقَ الإصرارِ بأنه : "القصد المصمم عليه قبل الفعل لارتكاب جنحة أو جناية يكون غرضُ المصرِ منها إيذاءَ شخصٍ معينٍ أو أيّ شخصٍ غير معين وجده أو صادفه ، سواء كان ذلك القصد معلقاً على حدوث أمر أو موقوفاً على شرط". وقد يُؤخذ من هذا النص أنه يكفي لوجود سبق الإصرار أن يكون القصد المصمم عليه سابقاً على العمل ، ولكن هذا وحده لا يكفي ، لأن الغضبَ قد يستمر وقتاً ما ومع ذلك لا تُعتبر الجريمةُ أنها ارتُكِبَت مع سبق إصرار. مثال ذلك إذا غادر الجاني محلَ النزاع وهو في حالةِ غضبٍ وذهب إلى مكان قريب منه واستحضرَ منه سلاحاً ثم عادَ وأطلقه على المجني عليه ، فإن مغادرة محل النزاع لاستحضار السلاح والمدة التي استغرقتها الإرادة الجنائية لا تسبغان على الجناية وصفَ الجريمةِ المصر عليها. ذلك بأن الإصرار السابق يقتضي توافر عنصرين : الأول أن تكون الإرادةُ الجنائيةُ سابقةً على الفعل ؛ وهذا ما نص عليه القانونُ في المادة ٢٣١ عقوبات. والثاني أن يكون الجاني قد فَكَّرَ وتروى وتَدَبَّرَ في مشروعه. وهذا ما قررته محكمةُ النقض والإبرام المصرية إذ قضت في حكم لها بأنه يشترط لتوفر سبق الإصرار أن يكون الجاني في حالةٍ يتسنى له فيها التفكير في عمله والتصميم عليه ، فلا وجود له إذا كان الجاني لا يزال تحت تأثير عامل الغضب الذي يمنعه من التفكير وهو هادئ البال (نقض ٤ مارس سنه ١٩٢٤). وقضت في حكم آخر بأن سبق الإصرار يستلزم بطبيعته أن يكون الجاني قد فَكَّرَ في القتل ورَتَّبَ ما يلزم عمله وتَدَبَّرَ عواقبه وهو هادئ البال. فإذا لم يتيسر له التدبر والتفكير وارتكبَ الجريمةَ وهو تحت تأثير عامل الغضب والهياج فلا يكون سبقُ الإصرار متوافراً (نقض ٢١ يونيو سنه ١٩٣٧ قضية رقم ١٣١١ سنه ٧ قضائية) انظر لسيادته : الموسوعة الجنائية ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٣١ ، ج ٤ ؛ ص ٦٢٦-٦٢٨. وانظر لسيادته أيضا ج ٥ ، ص ٧٢٤-٧٢٥.

بالجريمة (مكاني) ويقتضي أن يختبأ القاتل وراء صخرة أو شجرة أو شيء ما حتى إذا ما ظهر المجني عليه برز الجاني من مكمنه وانهال عليه طعنا أو ضربا ... فيرديه قتيلا.

وبتطبيق هذا على نص التوراة نجد أن موسى ﷺدخل المدينة فجأة ﴿**وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ**﴾[١] فلم يكن مرتبا لذلك ، بمعنى لم يكن فَكَّرَ في القتل مُسبقاً ورَتَّبَ ما يلزم عمله وتدبر عواقبه وهو هادئ البال ، إذن لم يكن لديه سبق إصرار على قتل المصري ، لأن موسى ﷺ طبقاً لنصالتوراة(**ذهبَ ليتفقد إخوته العبرانيين**) فلم يكن يعرف أن هناك تشاجراً ما بين عبراني مثله وبين مصري ﴿**هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ**﴾ ؛ ثم كان عنصر المفاجأة له بدليل نص التوراة السابق(**فَلَمَحَ رَجُلًا مِصْرِيًّا يَضْرِبُ رَجُلًا عِبْرَانِيًّا**)بما يؤكد أنه لم يكن يعلم ثمة تشاجر ما. بل إن قتله ذلك القبطي كان سبباً لخروجه من الديار المصرية إلى بلاد مدين[٢]. أما قول النص : (**فَتَلَفَّتَ حَوْلَهُ، وإذ لم يجد أحداً هُناكَ قَتَلَ المِصْرِيَّ**) فمعناه أنه كان يخشى أن يَكُونَ عليه شهود. فهذا الفعل – طبقا لنص التوراة – ليس إلا قتلاً بسيطاً في تكييفنا القانوني المعاصر.

وإذ انتهينا إلى نفي أن يكون فعلُ نبي الله موسى ﷺ قتلاً مقترناً بسبقِ إصرارٍأو بترصُدٍ ، نقول أيضاً بأنه لم يكن حتى قتلاً بسيطاً، لأنَّ موسى ﷺ دخل المدينة غفلة دون ترتيب لذلك، أي في حالة المفاجأة بدليل "**فَلَمَحَ**"، ويضم لذلك عدم نيته قتل المصري أي لم يُرد إزهاق روحهسابقاً ، وإنما أراد فقط ضربه ودفعه عن ابن قومه الإسرائيليالذي استغاث به أي طلب نصرته وغوثه ﴿**فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ**﴾ ، فأغاثه لأن نصرَ المظلوم دين في الملل كلها على الأمم ، وفرض في جميع الشرائع. قال قتادة : أراد القبطيّ أن يُسخِّرَ الإسرائيلي ليحمل حطباً لمطبخ فرعون فأبى عليه فاستغاث بموسى. قال سعيد بن جبير: وكان خبازاً لفرعون[٣].

---

(١) القصص : ١٥. والآية كاملة : ﴿**وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ**﴾.

(٢) انظر ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، المجلد الثالث ، ص ٤٦٨.

(٣) انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، المجلد السابع ، ص ٢٣٢.

فأراد موسى ضرب المصري ودفعه عمن استغاث به. إذن موسى فعل ذلك وهو في حالة دفاع شرعي عن غيره ، ولكنه لم يرد قتله بل مجرد ضربه ودفعه عمن استغاث به واستصرخه، فكانت فيه نفسه[١]. وهذا ما عَبَّرَ عنه القرآن الكريم بلفظ "فَوَكَزَهُ". قال قتادة : ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ﴾ أي : بعصاه ، وقال مجاهد : بكفه ، أي دفعه. والوكز واللَّكز واللَّهز واللَّهد بمعنى واحد ، وهو الضرب بِجُمْع الكف. وقيل : اللَّكز في اللحى ، والوكز على القلب ، ذكره القرطبي[٢]. قال النقاش في تفسير ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ﴾: (لم يقتله عن عمدٍ مريداً للقتل ، وإنما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه. وكان قتله مع ذلك خطأ ، فإنَّ الوكزةَ واللَّكزةَ في الغالب لا تَقتُل)[٣]. ولو أراد موسى قتله متعمداً لأثبت القرانُ الكريمُ ذلك صراحة – كما ذكر عن قابيل في قتلهِ أخيهِ هابيلَ - فلقال فقتله أو فَهمَّ به فقتله. وقد استعمل القرآنُ الكريمُلفظَالقتل في أكثر من موضع.

ونجزم أيضا يقيناً أنه ليس قتلاً خطأً[٤]. لأن القتلَ الخطأَ[٥] هو الذي ينشأ عن رعونة

---

(١) انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، المجلد السابع ، ص ٢٣٣.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ، المجلد السابع ، ص ٢٣٢.

(٣) انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، المجلد السابع ، ص ٢٣٣. وانظر أبو حبان في البحر ، ج ٧، ص١٠٩.

(٤) معلوم أن القتل الخطأ لا قصاص فيه بل تجب فيه الدية. لأن القاتل خطأ معذور فيتعذر القصاص منه ، ونفس المقتول معصومة لا تسقط بعذر الخاطئ فوجبت الدية. وفي ذلك يقول السرخسي : (فوجب صيانتها عن الهدر فأوجب الشرع المال في حالة الخطأ جزاءاً على استهانة القاتل وقلة مبالاته ولصيانة النفس المحرمة عن الإهدار). انظر شمس الدين السرخسي ، المبسوط ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ج ٢٦ ، ص ٦٣ ؛ ٦٦.

(٥) تنص المادة ٢٣٨ من قانون العقوبات المصري على عقوبة القتل الخطأ فتقضي بأن : (مَنْ تسبب خطأً في موت شخص آخر بأن كان ذلك ناشئًا عن إهماله أو رعونته أو عدم احترازه أو عدم مراعاته للقوانين والقرارات واللوائح والأنظمة يُعاقب بالحبس مدة لا تقل عن ستة أشهر وبغرامة لا تتجاوز مائتي جنيه أو بإحدى هاتين العقوبتين. وتكون العقوبة الحبس مدة لا تقل عن سنة ولا تزيد على خمس سنين وغرامة لا تقل عن مائة ولا تجاوز خمسمائة جنيهأو إحدى هاتين العقوبتين إذا وقعت الجريمة نتيجة إخلال الجاني إخلالاً جسيمًا بما تفرضه عليه أصول وظيفته أو مهنته أو حرفته أو كان متعاطيًا مسكرًا أو مخدرًا عند ارتكابه الخطأ الذي نجم عنه الحادث أو نكل وقت الحادث عن مساعدة من وقعت عليه الجريمة أو عن طلب المساعدة له مع تمكنه من ذلك.وتكون العقوبة الحبس مدة لا تقل عن سنة ولا تزيد على سبع سنين إذا نشأ عن الفعل وفاة أكثر من ثلاثة

أو جهل أو إهمال أو بالقضاء والقدر[١]. ولا فرق بين القتل العمد والقتل الخطأ من حيث الركن المادي أي من حيث الوسيلة التي تنشأ منها حادثة الوفاة ، فالقتل الخطأ لا يميزه عن القتل العمد سوى الركن المعنوي أي ركن القصد ، فنتيجة الوفاة لا تكون مقصودة[٢]. وسيدنا موسى ﷺ لم يوجد في أي حالة من الحالات المذكورة سابقا عند ضربه أو وَكزِهِ المصري متعمداً. فانتفى أن يكون فعل موسى خطأ لتعمده الضرب.

إذن بقي أن نقول أن فعل سيدنا موسى ﷺ كان ضرباً مفضياً إلى الموت. فهوتَعمَّدَ الضرب"**فَوَكَزَهُ**" ولكن تجاوز ضربهُ نطاقَ حد الضرب المعقول لقوته المفرطة. وقد أشار القرآن الكريم لهذه القوة عندما وصفتها بنت شعيب لأبيها ،قال تعالى : ﴿**وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۞ فَسَقَىٰ لَهُمَا {.....۞}قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ**﴾[٣]

يقول ابن كثير : ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ أي ما خبركما لا تردان مع هؤلاء ؟ ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ أي : فهذا الحال الملجئ لنا إلى ما ترى. قال الله تعالى : ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ قال أبو بكر ابن أبي شيبة : .... عن عمرَ بنِ الخطَّابِ ﷺ أنَّ موسَى ﷺ لما وردَ ماءَ مَدْيَنَ وجدَ عليهِ أُمَّةً من النَّاسِ يسقونَ قال : فلمَّا فرَغوا أعادوا الصَّخرةَ على البئرِ ولا يطيقُ رفعَها إلَّا عشرةَ رجالٍ، فإذا هوَ بامرأتَيْنِ تذودانِ، قال : ما خطبُكُما ؟ فحدَّثتَاهُ، فأتَى الحجَرَ فرفعَهُ ثمَّ لَم يستَقِ إلَّا ذَنوبًا واحدًا حتَّى رَوِيَتِ الغنمُ.إسناد صحيح)..... ﴿**قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ**﴾ أي قالت لأبيها :"**يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ**" لرعي الغنم. ولما قالت : ﴿**إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ**

أشخاص. فإذا توافر ظرف آخر من الظروف الواردة في الفقرة السابقة كانت العقوبة الحبس مدة لا تقل عن سنة ولا تزيد على عشر سنين).

(١) انظر د. جندي عبد الملك ، الموسوعة الجنائية ، المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٦٧٧.

(٢) انظر د. رمسيس بهنام، قانون العقوبات"جرائم القسم الخاص"، منشاة المعارف، الإسكندرية،بدون تاريخ نشر،ص ٩٠٤.

(٣) القصص : ٢٣-٢٦.

﴿الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾، قال لها أبوها : وما علمك بذلك ؟ قالت إنه رفع الصخرة التي لا يطيق حملها إلا عشرة رجال.)[1] ثم إنه ندم على فعله هذا بعد ذلك لقوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾[2]

وعن طبيعة جناية الضرب أو الجرح أو إعطاء المادة الضارة المفضي إلى الموت يقول دكتور رمسيس بهنام : أنها جريمة مادية لا شكلية من جرائم الحدث الضار. والحدث الضار الأول فيها هو الضرب أو الجرح أو إعطاء المادة الضارة والحدث الضار الثاني هو انفصال الروح عن جسم المجني عليه ومفارقته للحياة في أعقاب ضربة سببت له ارتجاجا في المخ مثلا أو جرح نتج عنه نزيف في القلب مثلا أو إعطاء لمادة ضارة سبب التسميم ؛ دون أن تكون وفاة المجني عليه محل استهداف أصلا من جانب الضارب أو الجارح أو معطى المادة الضارة ، وان كان بين الوفاة وبين مسلكه اتصال المعلول بالعلة ، تبعا لأن هذا المسلك كان رعونة في توجيه الضربة أو في إحداث الجرح أو في إعطاء المادة الضارة كان من شانها أنْ تجاوزَ الفعلُ الغرضَ المقصودَ منه أصلا[3].

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ، المجلد الثالث ، ص٤٧٠ ؛ ٤٧١.

(٢) القصص : ١٦-١٧.

(٣) انظر لسيادته : قانون العقوبات "جرائم القسم الخاص"، المرجع السابق ، ص ٨٨٦. وجدير بالذكر أن المادة ٢٣٦ من قانون العقوبات المصري الحالي تنص على أن : "كل من جرح أو ضرب أحدا عمدا أو أعطاه مواداً ضارة ولم يقصد من ذلك قتلا ولكنه أفضى إلى الموت يُعاقب بالأشغال الشاقة أو السجن من ثلاث سنوات إلى سبع. وأما إذا سبق ذلك إصرار أو ترصد فتكون العقوبة الأشغال الشاقة المؤقتة أو السجن". وعبارة الضرب أو الجرح الواردة بنص هذه المادة تشمل كل فعل يقع على الجسم ويكون له تأثير ظاهري أو باطني. فتنطبق المادة ٢٣٦ ع على مَنْ يضغط على عنق آخر في مشاجرة إلى أن يموت مختنقا من غير أن يكون عند الجاني نية إحداث الموت (نقض ١٥ يناير سنه ١٩١٠ مج ١١ عدد ٤١). وقد توسعت المحاكم المصرية في تفسير المادة ٢٣٦ عقوبات فحكمت محكمة جنايات الإسكندرية في قضيه تعدى فيها المتهم على المجني عليه بالضرب في أثناء مشاجرة وقعت بينهما في سفينة في النيل - وكان من نتيجة هذا الضرب أن سقط المجني عليه في النهر وغرق - بأن ما حصل من المتهم لا يُعتَبر قتلا خطا بالمادة ٢٤٤ ع ، بل يقع تحت طائلة المادة ٢٣٦ ع (جنايات إسكندرية ٦ ابريل سنه ١٩١١ مج ١٢ عدد ١٣٩). انظر د. جندي عبد الملك ، الموسوعة الجنائية ، ج ٥ ، ص ٧٩٤- ٧٩٥.

ولما كانت جريمة الضرب المفضي للموت تختلف عن جريمة القتل خطأ في أن الجريمة الأولى (الضرب المفضي للموت) تنشأ عن فعل جنائي متعمد موجه إلى المجني عليه ؛ فهي بالرغم من انعدام نية القتل فيها لا تزال جريمة عمدية يتجه فيها قصد الجاني إلى إصابة المجني عليه. بينما جريمة القتل خطأ بطبيعتها جريمة غير عمدية يحدث فيها القتل عن خطأ من الجاني غير مقصود منه ودون تعمد ، وينشأ عن رعونة أو إهمال أو عدم احتياط ، ويعتبر جنحة. ولما كان القتل العمد هو أخطر الجرائم التي تقع على النفس كجناية ، ويكون لدى الجاني قصد جنائي خاص وهو نية القتل أي نية إزهاق روح المجني عليه[(١)].

ومما تقدم نستطيع القول بأنَّ فعلَ موسى ﷺ لم يكن قتلاً خطأً لما سلف بيانه لتعمُده الاعتداء "الضرب"، ولم يكن قتلاً عمداً بسيطاً ، ولا قتلاً مقترناً بسبق إصرارٍ ولا بترصدٍ لما أسلفنا ، بل كان فقط ضرباً مؤدياً للموت لفرط قوته ، ولأنه لم يُرد حقيقةً إزهاقَ روحِ المجني عليه "المصري"[(٢)] ، لاسيما وأنَّ القرآنَ الكريمَ استعملَ لفظ "**فَوَكَزَهُ**" والوكز لا يقتل مهما كان قوياً ، وهذا دليل على أن موسى ﷺ لم يرد القتل ، وإنما كان يريد الردع ، فما كان يعرف ولا يدرك أن وكزته ستُؤدي إلى قتل ذاك الرجل[(٣)]. فصار فعلُهُ ضرباً مفضِيًّاً للموت فقط.

وهذا عين ما ذهبت إليه العالمة نوبلكور حيث قالت : (نجد أن موسى قد وجد نفسه في يوم شاهداً على عقاب قاس أوقعه أحد المقاولين المشرفين على أحد مواطنيه ... وقد حدث هذا الأمر في الوقت الذي استهل فيه "سيتي الأول" الأعمال الإنشائية ل "بر- رمسيس" . هنا تدخل موسى فيما بين العامل والمقاول المشرف : **وضرب الأخير ضربة أودت بحياته**. ولم

(١) انظر د. جندي عبد الملك ، الموسوعة الجنائية ، ج ٥ ، ص ٦٧٨-٦٧٩ ؛ وص ٧٩٥- ٧٩٦.

(٢) والضرب المفضي إلى الموت يناظره القتل شبه العمد في الشريعة الإسلامية. فهو عمد باعتبار قصد الفاعل إلى الضرب وخطأ باعتبار انعدام القصد منه إلى القتل. ولا يجوز القصاص في القتل شبه العمد لتمكن شبهة الخطأ في النتيجة غير المرجوة ، وتجب الدية على عاقلة القاتل. (ليكون زجراً لهم على غلبة سفهائهم وبعثاً لهم على الأخذ على أيدي سفهائهم لكيلا تقع مثل هذه الحادثة). انظر السرخسي ، المبسوط ، ج ٢٦ ، ص ٦٣؛ ٦٦. وانظر أيضا د. جندي عبد الملك ، الموسوعة الجنائية ، ج ٥ ، ص ٦٧٧.

(٣) انظر حسن الباش ، القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان ؟ المرجع السابق ، ج ١، ص ٢٣٩-٢٤٠.

يسلم نفسه للاعتقال. وفر هاربا حتى لا يقدم للمحاكمة ، ويلقى مصير مَنْ يُلحِقون الأذى بـ" قطيع الإله")[١].

(١) انظر مؤلفها : رمسيس الثاني فرعون المعجزات (Ramses II : La Veritable Histoire)، المرجع السابق، ص ٢٤٠-٢٤١.

المبحث الثالث

فرعون موسى وحقيقة غرقه

علمنا سابقا أن موسى ﷺ تربى في بيت فرعون ، ثم لما كَبُرَ وأزهق نفس مصري عن غير قصد فرَّ إلى مدين فلبث فيها طبقا لبعض المفسرين إحدى عشرة سنة، وعندما كلفه ربه بالرسالة[١] أمره بالرجوع إلى مصر لإخراج بني إسرائيل من نير العبودية التي سامها لهم فرعون في مدينة جاسان[٢]. وقد علمنا ما كان من شأن فرعون وقومه من تكذيبهم[٣] موسى ﷺ، ورفض التسع[٤] آيات التي ضرب بها الله تعالى فرعونَ ليجبره على تحرير بني إسرائيل ، وصولا في النهاية إلى واقعة الخروج[٥].

وقد تواترت الآيات في بعض أسفار العهد القديم وفي القرآن العظيم على تعذيب فرعون لقوم موسى ﷺ وإذلاله شعب بني إسرائيل ، حتى صعدت استغاثتهم لله واستجاب لدعوتهم ، فكلَّفَ موسىَ وهارونَ بالذهاب لفرعون ليُطلِقَ شعبه ليعبدوه ، والقصة مشهورة بما يغنينا

---

(١) ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ۝ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ طه : ٤٢-٤٤.

(٢) انظر دونالد ريدفورد ، مصر وكنعان وإسرائيل في العصور القديمة ، ترجمة بيومي قنديل ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط ٢ ، ٢٠١٥ ، ص ٦٢٢-٦٢٥.

(٣) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۝ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ۝ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ هود : ٩٦-٩٩.

(٤) ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۝ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۝ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ۝ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ الأعراف : ١٣٢-١٣٦.

(٥) انظر ماكس لوكيدو ، راندي فريزي ، القصة "قصة تعاملات الله مع الإنسان"، المرجع السابق ، ص ٤٥.

عن طرقها[1].

ولكن نود أن نتساءل مَنْ هو فرعون الخروج ؟ وهل فرعون الخروج هذا هو نفسالفرعون الذي تربى موسى ﷺ في بيته ؟ وهل هو الفرعون الذي أُرسِلَ له موسى ﷺ بالتسع آيات المذكورة بالقرآن الكريم ؟

المطلب الأول
من هو فرعون الخروج ؟

يقول **القس الدكتور صفوت** عن حدث الخروج من منظور تاريخي : (هناك وجهتا نظر حول تأريخ حدث الخروج. فيعتقد بعضُ العلماء أن الخروج حدث في القرن الخامس عشر قبل الميلاد وبالتحديد في سنة ١٤٥٠ ق.م.، وتعتمد هذه النظرية على الإشارة في "١مل ، ٦ :١" حيث يذكر النص أن سليمان قام ببناء الهيكل في السنة الرابعة لحكمه"٩٧٠ق.م."٤٨٠عاما بعد خروج شعب إسرائيل من أرض مصر .بحسب هذا التأريخ فإن تحتمس الأول هو فرعون العبودية، وحتشبسوت ابنته هي التي أنقذت موسى من النهر، وأن فرعون الخروج هو تحتمس الثالث الذي مات في عام١٤٥٠ ق. م. الاعتراض الرئيسي على هذا التاريخ هو أن علم الآثار أوضح أن مدناً مثل عاي وحصور والتي من المفترض أن شعب إسرائيل قد دمروها عند دخولهم إلى أرض كنعان كما يروي سفر يشوع ، قد دُمِّرَت في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وبالتالي يرجع تاريخ الخروج إلى ١٢٥٠ ق. م. الذكر الأول المعروف عن شعب إسرائيل خارج الكتاب المقدس موجود في مسلة مرنبتاح(١٢٠٨ ق. م.)، حيث يتباهى الملك بانتصاره على العديد من الشعوب المجاورة لمصر، من ضمنهم شعب إسرائيل.بالإضافة إلى ذلك فإن اسم مدينة (رعمسس)المذكورة في "خر.، ١١:١" ترجع إلى الأسرة التاسعة عشرة ١٢٩٥-١١٨٦ ق. م.) وليس قبل ذلك.تنشأ إشكالية تأريخ الخروج من أرض مصر من حقيقة أنه لا يوجد أي ذكر في المصادر المصرية لشعب يدعى إسرائيل عاش مئات السنين في مصر، ولا توجد أية اكتشافات أثرية مباشرة تؤيد حدوث الخروج بهذه الطريقة. رغم إنه لا يوجد أدلة أثرية من مصر أو خارجها على حدث الخروج، إلا أن السفر مليء بالعديد من الإشارات للثقافة المصرية

(١) ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ۞ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ الدخان:٣٠-٣١.

مما يبين أن السياق المصري كان مألوفا لكاتب النص. بعض الإشارات الموجودة في سفر الخروج والتي يوجد ما يوازيها أو يرتبط بها بصورة أو بأخرى في الكتابات المصرية تشتمل على: استخدام كلمة فرعون للإشارة للملك في الأسرة الثامنة عشرة ؛ في عصر رمسيس الثاني تم تشييد مدينتي ب(ر) إتم "بيت أتون"،و ب(ر)رعمسس "بيت رمسيس" ؛ ...)[١].

بينما يذهب مفسرون آخرون للتوراة إلى أن فرعون الخروج إما أن يكون "أمنحتب الثاني" وإما أن يكون "رمسيس الثاني" وتم الخروج في عهد ابنه "مرنبتاح" ، فيقولون : (مَنْ كان هذا الفرعون الذي تلاعب مع موسى ؟ إذا كان الخروج من مصر قد حدث فيما بين ١٥٠٠ و١٤٠٠ ق.م.، فالأرجح أنه كان أمنحتب الثاني ، أما إذا كان الخروج قد حدث فيما بين ١٣٠٠ و١٢٠٠ ق.م. فلابد أنه رمسيس الثاني ، وكان بصفة خاصة فرعونا متعطشا للدماء ، هو الذي كان يحكم عندما كان موسى صبياً ، وكان من السهل عليه اضطهاد العبرانيين المستعبدين دون أن يؤنبه ضميره. وكان خليفته مرنبتاح حاكماً ضعيفاً يُرجح أنه هو الذي أطلق الإسرائيليين بعد أن عانى من قوة ضربات الله.)[٢]

---

(١) انظر د. صفوت عادل مرزوق ، التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس، دار الثقافة ، القاهرة، ط ١، ٢٠١٨، ص ١٥٧. ويذهب العالم توماس إلى أنه لا يمكن إطلاق اسم إسرائيل بثقة إلا على تلك الدولة الإقليمية المدعوة إسرائيل والتي كانت عاصمتها السامرية. أما الإشارة إلى لوحات مرنبتاح لا تقدم في الحقيقة عونا في هذا المجال. فهذا الاسم القبلي في قائمة مرنبتاح لا يتوافق مع استعمال الاسم للإشارة إلى الدولة التي قامت في الحقبة الأشورية ، أي اسم قبيلة شيريل الواردة في لوحة السامرة ، أو أي استعمال تعبير توراتي. ولا يستطيع المرءُ أن يؤكد وجود إسرائيل التوراة بالاستناد إلى لوحة إسرائيل وحدها. انظر توماس ل. طومسون ، التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي ، ترجمة صالح سوداح ، بيروت ، ط ١، ١٩٩٥ ، ص ١٨٩؛ ص ٢١٣. ويكفي لبطلان قوله أن القرآن الكريم حجة على كل ذي أحد.

(٢) انظر التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ، المرجع السابق ، ص ١٥٥، تفسير سفر الخروج ، ١٢ :٣١-٣٢. وانظر أيضا : صابر طعيمة ، التَّاريخ اليَهُودي العام ، دار الجيل ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٩١ ، الجزء الأول ، ص ٩٧-٩٨. وهناك مَنْ تَبنَّى هذا الرأي وأن ميلاد موسى كان في عصر الفرعون رمسيس الثاني. يقول سعدون محمود الساموك : (وكان موسى عليه السلام رجلاً من بني إسرائيل من مواليد هذه الفترة ، وُلِدَ في مصر أيام فرعونها رمسيس الثاني (١٣١٠-١٢٣٤ ق.م.) وقد تربَّى في قصر هذا الفرعون بعد أن ألقته أمه في النهر وهو داخل التابوت). انظر مؤلفه : موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة ، الجزء الأول "العقائد" ، دار المناهج ، عمان ، ط ١، ٢٠٠٢ ، ص ١٥٤.

وتبنى هذا الاتجاه **موريس بوكاي**[١]. وينتهي بوكاي نقلا عن التوراة أنَّ فرعون موسى ليس واحداً بل يُوجد فرعونان. فرعون تسخير أو فرعون اضطهاد وهو الملك رمسيس الثاني الذي تربى موسى في بيته والذي مات أثناء وجود موسى في مدين. وفرعون الخروج أو الفرعون الذي طارد موسى وجماعته ثم غرق غرقاً. وأن موسى وُلِدَ في فترة حكم باني مدينتي رمسيس وبيتوم أي في عهد رمسيس الثاني الذي سخر اليهود ، وأن هذا الفرعون "رمسيس الثاني" مات[٢] عندما كان موسى في أرض مدين ؛ وأن بقيه حكاية الخروج تقع في حكم خليفة الملك رمسيس الثاني وهو ابنه مرنبتاح الذي غرق. ويستند بوكاي إلى أن التوراة حددت بالاسم الفرعون الذي اضطهد اليهود والذي تكلمت عنه القصة الدينية في التوراة وفي القرآن. وادعى بوكاي بعد فحصه المومياء بالأشعة السينية وجود آثار تدل على غرق مرنبتاح وأن مرنبتاح هو فرعون الخروج. وعلى خلاف ما يقول بوكاي نجد أن القرآن الكريم لم يذكر موت أحد الفراعنة في أثناء مكوث موسى بأرض مدين ؛ ولم يتحدث إلا عن فرعون واحد فقط ، فرعون في مواجهة كل تلك الأحداث ، ولم يذكر اسم فرعون الخروج، ولا حتى اسم الفرعون الذي رَبَّى موسى ، بل يتحدث عن فرعون واحد فقط من أوَّلِ ميلادِ موسى إلى نهاية قصة الخروج[٣].

ولم يعتنق العلامة **سليم حسن** كون الفرعون مرنبتاح هو فرعون موسى فقال : (وكذلك

---

(١) موريس بوكاي طبيب باطنه ، ومستشرق فرنسي من أصل مغربي ، له كتاب "القران والتوراة والإنجيل والعلم". اختص مومياء الملك رمسيس الثاني ومومياء ابنه الملك مرنبتاح بالتحديد. وكان هو السبب الرئيسي في خروج الملك رمسيس الثاني بذريعة العلاج في فرنسا بقالة أن مومياء هذا الملك تغزوها الفطريات والبكتيريا وأنها مهدد بالتحلل والفناء. وكان الهدف من إخراجه إلى فرنسا سياسياً - تحركه الحركات الصهيونية - لإجراء البحوث عليه للتأكد من أنه الفرعون الذي طارد اليهود وهو الفرعون الذي غرق. انظر سعيد أبو العينين ، الفرعون الذي يطارده اليهود بين التوراة والقرآن ، دار أخبار اليوم ، القاهرة ، عدد مايو ١٩٩٧ ، ص ٢٤-٢٥.

(٢) ويقول وول ديورانت : أن رمسيس – الثاني - أسلم الروح في عام 1225ق. م ، وهو في التسعين من عمره. انظر قصة الحضارة ، المجلد الأول ، ص ٢٠٣.

(٣) انظر سعيد أبو العينين، الفرعون الذي يطارده اليهود بين التوراة والقرآن، المرجع السابق، ص ٢٧-٣٣ ؛ ص ٣٥؛ ٦٦.

قيل عن "مرنبتاح" إنه فرعون موسى الذي ذُكِرَ في القرآن وغيره من الكتب المقدسة ، وهذا طبعا لا يرتكز على حقائق تاريخية)[١]. وأما عن تاريخ خروج بني إسرائيل فقد ذهب العلامة سليم حسن إلى أنه لا يمكن تحديده بصفة قاطعة ، وأن الاختلاف في وضع تاريخ هذه الحادثة جاء أحياناً في أزمانٍ متباعدةٍ بعضها عن بعض بسنين عدة ، وأن البعض قد وضعه قبل عهد "أمنحتب الثالث" بينما وضعه آخرون في عهد "رعمسيس الثاني". وقال أن كلا من الأستاذ نافيل وبتري وسايس وغيرهم قد اتفقت آراؤهم على أن خروج بني إسرائيل قد حدث في عهد الفرعون "مرنبتاح". فيقول أستاذ نافيل : "إني لا أزال مُسلِّمَاً بوجهة النظر التي أدلى بها لبسيوس عن موضوع خروج بني إسرائيل وهي التي يقتنيها معظم الأثريين أن مضطهد اليهود هو "رعمسيس الثاني" الذي كان حكمه الطويل بداية انحلال الإمبراطورية المصرية ؛ وأن الفرعون الذي ينسب إليه خروج بني إسرائيل هو ابنه مرنبتاح"[٢].

ويُعضد هذا ما يقوله**القس الدكتور صفوت**: (من المثير للانتباه أن سفر الخروج لا يذكر اسم فرعون على الإطلاق ، في حين أن العهد القديم لاحقاً يشير إلى أسماء فراعنة بعينهم ، مثل "**شيشق الأول**" (٩٤٥-٩٢٤ ق. م. ؛ ١ مل ، ١٤ : ٢٥-٢٦) ؛ و"**سوا**" (٧٢٦ ق. م.؛ ٢ مل ، ١٧ : ٤) ؛ و"**نخو**" (٦٠٩ ق. م. ؛ ٢مل ، ٢٣ : ٢٩). بسبب غياب أدلة أثرية على حدث الخروج، وفي ضوء الصبغة اللاهوتية للنص، فإن العديد من علماء العهد القديم يعتقدون أن سفر الخروج يحتوي على بذرة تاريخية لتحرير عبيد من الإمبراطورية المصرية، ولكن يتم تقديم هذا التاريخ من منظور لاهوتي ليخاطب التحدِّيات التي مر بها شعب إسرائيل الذي وقع تحت وطأة الإمبراطوريات الأشورية والبابلية والفارسية، قبل وبعد السبي.)[٣]

---

(١) انظر لسيادته : موسوعة مصر القديمة ، الجزء السابع "عصر مرنبتاح ورعمسيس الثالث ..." المرجع السابق، ص ٩٧.

(٢) انظر لسيادته : موسوعة مصر القديمة، الجزء السابع "عصر مرنبتاح ورعمسيس الثالث...."، المرجع السابق، ص ١٠٩.

(٣) انظر د. صفوت عادل مرزوق ، التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس ، المرجع السابق ، ص ١٥٨. من الجدير بالذكر أن عهد القضاة يبدأ منذ خروج اليهود من مصر بزعامة موسى وحتى إقامة دولة اليهود في أرض كنعان بزعامة الملك "شاؤول" عام ١٠٢٥ ق.م. انظر د. السيد عبد الحميد فوده ، القانون اليهودي القديم ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٩ ، ص ١٥١ وما بعدها.

ولكن بالرجوع إلى علماء الآثار نجدهم يقولون أنه تم العثور على مومياء الملك رمسيس الثاني في مخبأ بمنطقه الدير البحري بالبر الغربي للأقصر سنه ١٩٨٠ ؛ وأنه حَكَمَ لمدة ٦٧ عاماً وهي أطول فترة حكم في التاريخ ، وأن مومياءه موجودة حتى الآن فلم يغرق. ومما ينفي أن فرعون موسى هو رمسيس الثاني الآتي :

أولا - الملك رمسيس لم يكن عقيما !! كانت له ثماني زوجات ، أولهن زوجته الجميلة "نفرتاري" ، وعشرات المحظيات. وكان عنده أكثر من مائة وخمسين من الأولاد والبنات !! وأسماء الأولاد والبنات مذكورة على جدران المعابد.يقول **فرانسيس فيفر** : (كانت عائلة رمسيس تنتمي إلى نسل رمسيس الثاني الذي رُزِقَ بذرية هائلة ، يزيد عدد الذكور فيها عن المائة فهي إذا عائلة شرعية.)[١]. وهذا ما تشهد به عالمة المصريات الفرنسية **نوبلكور**حيث قالت : (قطعاً أنجب "أوسر ماعت رع" -[أي رمسيس الثاني]- عدداً هائلاً من الأبناء. وقد فَقَدَ الكثيرين منهم قبل بلوغهم العام الثلاثين من عمرهم.)[٢] وبالتالي ليس من المعقول لمن عنده كل هذا العدد من الأولاد والبنات أن تقول له زوجته نريد طفلا لينفعنا عندما نكبر في قوله تعالى : ﴿**وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾[٣].

ثانيا - القرآن يتكلم عن فرعون ادعي الألوهية المطلقة لنفسه ، فقد ورد في القران : ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾[٤] ؛ بينما الواقع التاريخي للملك رمسيس الثاني يقول أنه كان هناك العديد من الآلهة وأن الملك رمسيس الثاني حارب تحت

---

(١) انظر الفرعون الأخير رمسيس الثالث أو زوال حضارة عريقة ، دار الحصاد ، دمشق ، ترجمة فاطمة الهلول ، بدون تاريخ نشر ، ص ١٥-١٦.

(٢) انظر كريستيان ديروش نوبلكور ، رمسيس الثاني فرعون المعجزات (Ramses II : La Veritable Histoire) ، المرجع السابق ، ص ٢٣٨.

(٣) القصص : ٩.

(٤) القصص : ٣٨.

ألوية الآلهة في معركة قادش ، وكل الصور والرسوم التي يظهر فيها الملك رمسيس فوق معابده يظهر فيها بجوار آلهة[١]. ولذلك فان القصة القرآنية لا تنطبق على الملك رمسيس الثاني في هذا الخصوص.

ثالثا - النص القرآني يقول وبكل وضوح : ﴿**وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ**﴾[٢] أي لم يبق لهذا الفرعون من آثار لأنها دُمِّرَت ، بينما آثار الملك رمسيس الثاني لا تزال قائمةً تملأ الدنيا ، وفي كل مكان حتى الآن ، إذن ليس هو فرعون موسى[٣].

أما زعم **بوكاي** والذين شاطروا[٤] رأيه أن فرعون الخروج هو الملك مرنبتاح ابن الملك

---

(١) ففي معبد القرنه ، الذي أنشأه سيتي الأول ثم أتمه الفرعون رمسيس الثاني وأهداه لوالده وجَدِّهِ ، نجد سواء في قاعة الأعمدة الكبرى أو في الجانب الأيمن من قاعة رمسيس الثاني رسوماً على جدرانها تُمثِّل رمسيس الثاني راكعاً يُقدِّم القرابين للآلهة. وفي الجانب الأيسر من هيكل رمسيس الأول نجد نقشاً على جدار القاعة الأولى يُمثِّل رمسيس الثاني وهو يركع أمام الإله آمون مقدماً إليه رمز العيد. وفي الحجرات الأخرى مناظر تُمثِّل رمسيس الثاني ووالده أمام الآلهة المختلفة. انظر عبد الهادي حماده ؛ محمد زكي ، دليل آثار الأقصر ، مطبعة محمد عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٤٢، ص ٤٥-٤٦ ؛ ص ١٥٣-١٥٥.

(٢)الأعراف : ١٣٧.

(٣)انظر سعيد أبو العينين ، الفرعون الذي يطارده اليهود بين التوراة والقرآن، ص ٦ ؛ ص ٦٨ ؛ ٧٣-٧٤ ؛ ١١٨-١١٩.

(٤)ولذلك يثبت خطأ قول د. عبد المحسن الخشّاب بأن موسى وُجِدَ إبان حكم الفرعون رمسيس الثاني وخلفه ابنه مرنبتاح مستنداً إلى أن المؤرخين "يقولون بأن الوحي نزل على موسى في الثمانين من عمره وكان عمره هذا حجة قوية تؤيد وجود موسى تحت حكم رمسيس الثاني الذي مات في التسعين من عمره واستمر كذلك في عهد ابنه مرنبتاح أيضا من بعده". انظر لسيادته : تاريخ اليهود القديم بمصر ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٨٩، ص ٤٥. كذلك أيضا لا يُقبل قول د. محمد خليفة حسن : (ويبدأ سفر الخروج بذكر أسماء جماعة بني إسرائيل التي أتت إلى مصر وازدياد هذه الجماعة وتكاثرها هناك إلى أن أصبحت جماعة كبيرة مستعبدة زمن الفرعون رمسيس الثاني (١٢٨٠-١٢٢٣ ق.م.) ، وفرعون الخروج مرنبتاح خليفة رمسيس الثاني (١٢٢٣-١٢١١ ق.م.) كما يعتقد أغلب العلماء). فهذا بيّن الخطأ لأن رمسيس الثاني مات وعمره على الأرجح تسعون عاما. بينما الذي ذكره يجعل عمر رمسيس الثاني ٥٧ عاماً فقط. انظر كتابه : مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم ، مكتبة المهتدين ، بدون مكان أو

رمسيس الثاني فهذا قول تناقضه الحقائق العلمية الثابتة أثرياً. فبالرجوع إلى اللوحة المعروفة بين الأثريين "بلوحة إسرائيل" أو "بأنشودة النصر" ، تخليداً لذكرى الانتصارات التي حققها الملك مرنبتاح على أقوام (الليبو والبحار)[١] ، نجدها **نُقِشَت على لوح يحمل العام الخامس من عهد مرنبتاح** ، **وحَدَّدت العامَ الخامسَ من حكم مرنبتاح بأنه العامُ الذي حَدَثَ فيه الخروجُ** ، وذُكِرَ بها اسم إسرائيل لأول مرة في عبارة تقول "**وإسرائيل قد خرجت وانقطعت بذرتها**". وفي ترجمة أخرى لها نقرأ : (وقد عاش مرنبتاح وبقي في حكمه بعد قمع تلك الثورة خمسة أعوام. ومعنى ذلك أن بني إسرائيل دخلوا فلسطين قبل عهد مرنبتاح وخرجوا من مصر بالتالي قبل عهده. فليس مرنبتاح إذن هو فرعون الخروج. أيضا استنبط العلماءُ دليلاً آخراً يؤكد استبعاد أن يكون مرنبتاح هو فرعون الخروج بسبب العشر سنوات مدة حكمه. فقد عاش مرنبتاح بعد قمع تلك الثورة خمس سنوات في الحكم بعد خروج إسرائيل ، وهذا يتناقض مع قول التوراة بأن فرعون قد غرق في البحر الأحمر ، بل ويتنافر مع قول القرآن بأن فرعون غرق وجثته انتشلت لتكون لمن خلفه آية كما رأينا[٢]. فثبت يقينا بأن

تاريخ للنشر ، ص ٤٢. وقد ذكر العالم بارو أن : رمسيس الثاني الذي حكم من ١٣٠١-١٢٣٥ق.م. تمت دراسة مومياءه في رحلة علاجه بفرنسا وأنه مات في سن الخامسة والتسعين. انظر جان كلود بارو ؛ غيوم بيغو ، التاريخ الكامل للعالم "منذ ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا"، ترجمة لحسن عيساني للأصل الفرنسي Toute l'histoire du monde، دار الفارابي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨، ص ٢٧-٢٨. بينما يشير إيز فيلدت إلى أن : (ما ورد في العهد القديم يتناقض تناقضا ذاتيا ، فطبقاً لما جاء في سفر الملوك الأول "١:٦" فإن خروج بني إسرائيل من مصر قد حدث قبل بداية بناء الهيكل بأربعمائة وثمانين عاماً ، وربما كان ذلك "بناء هيكل سليمان" حوالي عام ٩٧٠ ق.م.، وبذلك يكون الخروج من مصر في عام ١٤٥٠ ق.م.) انظر د. مصطفى كمال عبد العليم ود. سيد راشد ، اليهود في العالم القديم ، دار القلم ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٩٥، ص ٤٧. ويقول أيضا وول ديورانت : (ويعتقد بعضهم أن رمسيس الثاني هو بعينه فرعون موسى الذي ورد ذكره في سفر الخروج.) انظر قصة الحضارة ، المجلد الأول ، ص ٢٠٣.

(١)انظر دونالد ريدفورد ، مصر وكنعان وإسرائيل في العصور القديمة ، المرجع السابق ، ص ٣٧٢-٣٧٤. وانظر أيضا : ر. انجلباخ ، مدخل إلى علم الآثار المصرية "مع الإشارة إلى المتحف المصري بنوع خاص" ، ترجمة د. أحمد موسى ، المجلس الأعلى للآثار ، القاهرة ، ١٩٨٨، ص ٥١.

(٢)مرنبتاح هو الابن الثالث عشر في قائمة أبناء الملك رمسيس الثاني الذي تضم أكثر من ١٠٠ ولد وأكثر من ٥٠ بنت ، وقائمة الأبناء منقوشة على أحد جدران معبد "الرمسيوم" وبعض المعابد الأخرى. وأم مرنبتاح هي الملكة "أيسة نفر" أو "إيزيس نفرت" ، وهي الزوجة الملكية الثانية للملك رمسيس بعد زوجته الأولى نفرتاري. وقد مات

مرنبتاح ليس هو فرعون الخروج.

وهذا ما يؤكده العالم **رُوجيه غَارودي** بقوله : (إن أقدم ذكر لكلمة إسرائيل وُجِدَ على مسلة تُمجِّد انتصارات الفرعون ميميبتا Memepta ، حوالي عام ١٢٢٥ ق.م. وقد ورد فيها دون تحديد أنه دَمَّرَ إسرائيل كذلك ، حين غزا المدن الفلسطينية : "دُمِّرَت إسرائيلُ ولم يبق لها جذور أبداً". وليس في هذا النص أي كلمة أخرى عن إسرائيل. وفضلا عن ذلك ، فإن ٤٠٠ لوح من الصلصال اكتُشِفَت اعتباراً من عام ١٨٨٧م. في تل العمارنة العاصمة التي أنشاها الفرعون أمينوفيس الرابع "أخناتون : ١٣٧٥-١٣٥٨"ق.م. تُقَدِّم لنا المحفوظات التي تحتوي على مراسلات فرعون مع الأمراء والولاة على مناطق فلسطين وسوريا. وليس فيها أي أثر عن إسرائيل ، بل معلومات هامة عن المدن - الدول - للكنعانيين ومنافسيهم)[١].

ويقول **وول ديورانت** : (ولم تصل إلينا من مصادر معاصرة إشارات مباشرة إلى خروج بني إسرائيل من مصر أو إلى هزيمة الكنعانيين. وكل ما وصلنا من إشارات غير مباشرة هو ما كُتِبَ على اللوحة التي أقامها منفتاح "مرنبتاح" حوالي 1225 ق.م. <u>وليس في هذه الأقوال ما يدل على أن منفتاح هو فرعون الذي خرج بنو إسرائيل من مصر في عهده</u> ؛ وكل ما تُثبته أن الجيوش المصرية اجتاحت فلسطين مرة أخرى.)[٢]

الإخوة الاثنا عشر الذين ولدوا قبل مرنبتاح في عهد أبيهم ، فتولى مرنبتاح العرش بعد وفاة أبيه ، وكان في الستين من عمره عندما أصبح ملكا على مصر. وقام مرنبتاح بالدفاع عن أرض مصر وحدودها ضد القبائل التي أتت بنسائها وأطفالها من شمال إفريقيا بقياده "مري" رئيس قبيلة "الليبو- ليبيا" للاستيطان بمصر في وادي النيل ، بحثاً عن الطعام بسبب القحط الشديد. فاضطر الملك مرنبتاح في العام الخامس من حكمه أن يُرسِلَ حملةً عسكريةً للدفاع عن حدود مصر الغربية واستطاعَ إلحاقِ هزيمةٍ قاسيةٍ بهم. وسَجَّلَت النقوشُ المصريةُ تفاصيلَ هذا النصر على أحد جدران معابد الكرنك. وفي أعقاب هذا النصر كُتِبَت "أنشودة النصر" وتضمنت كل الانتصارات التي حققها مرنبتاح على قبائل الليبيين وعلى شعوب البحر المتوسط.انظر سعيد أبو العينين ، الفرعون الذي يطارده اليهود بين التوراة والقرآن، ص ٨٣-٨٩. وأيضا كريستيان نوبلكور ، رمسيس الثاني فرعون المعجزات (Ramses II : La Veritable Histoire) ، المرجع السابق ، ص ١٨ ؛٢١-٢٢.

(١) انظر مؤلفه : إسرائيل بين اليَهودية والصُهيُونية ، ترجمة حسين حَيدر، دار التضامن، بيروت ، ط ١،١٩٩٠،ص ٤٢.

(٢) انظر قصة الحضارة ، المجلد الأول ، ص ٢٨٦-٢٨٧.

وبالنظر في القرآن الكريم نجده كرر اسم فرعون ٧٤ مرة وفي ٢٧سورة دون أن يذكر اسمألفرعون ولم يُحدِّد شخصيته ، بل قال فرعون فقط ، ولم يحدده ولم يَقُل مَنْ هو[١] .

وباستقراء آياته الكريمة نجده لم يتكلم إلا عن فرعون واحد منذ ميلاد موسى ﷺ إلى تاريخ خروج بني إسرائيل من مصر.ونستطيع أن نستخلص :

أولا- أنَّ إغفال ذكر اسم فرعون كان لحكمة بالغة[٢] .

ثانيا – وأنَّ الفرعون الذي أرسل اللهُ إليه موسى ﷺ وأخاه هارون بآياته وبضرباته التسع هو ذاته الفرعون الذي تربى موسى في بيته ، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم : ﴿**وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۞ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ۞ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۞ قَالَ كَلَّا ۖ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ۞ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ۞ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۞ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۞ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ۞ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي**

---

(١) انظر سعيد أبو العينين ، الفرعون الذي يطارده اليهود بين التوراة والقرآن ، المرجع السابق ، ص ٦٧.

(٢) قيل في الحكمة من إغفال القران الكريم ذكر اسم فرعون الخروج : أن القرآن نزل بلغة العرب وهم لا يعرفون عن أسماء هؤلاء الناس شيئا ، وإنهم يعرفون اللقب المشهور وهو كلمة فرعون ، وأنها كلمة يُشار بها إلى الطغيان ، فهي رمز للطغيان ، ولذا أخفى الله تعالى هذا الاسم إذ لا فائدة بذكره ، والقران الكريم ليس كتابَ تاريخ وإنما كتابُ هداية وإرشاد وموعظة ، والهدف المرجو من قصص الأنبياء العبرة والموعظة الحسنة ، وليس المرء بحاجة لبلوغ هذا الهدف لمعرفة اسم فرعون موسى ولا الفراعين كلهم. وقد عرضت الآيات الكريمة لحدث الخروج ومتابعة فرعون وجنوده لموسى دون ذكر لاسم فرعون أو لأسماء جنوده ليبقى الحدث رمزا يُذَكِّر الناس عبر الزمان بأن نهاية الطغاة أن يُهزَموا أمام الحق. فالمولى عز وجل أراد من إخفاء اسم فرعون الخروج أن يصرف اهتمام الناس عن ذكر الاسم ويحملهم على استخلاص السمة العامة والملامح التي يتميز بها الطغاة في كل عصر وإن اختلفت أسماؤهم ، فمسلكهم واحد كفرعون موسى أو أبي جهل أو أبي لهب ، وكذكر كلب أهل الكهف وأصحابه ، فقد اقتصر على العبرة وأنهم فتية آمنوا بربهم دون ذكر أسمائهم أو نوع كلبهم .انظر سعيد أبو العينين ، المرجع السابق ، ص ٧٥-٧٨ ؛ ص٨٠-٨١.

حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۞ وتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[١]

قال القرطبي : ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي أطلقهم وخلِّ سبيلهم حتى يسيروا معنا إلى فلسطين ولا تستعبدهم ، وكان فرعون استعبدَهم أربعمائة سنة ، وكانوا في ذلك الوقت ستمائة وثلاثين ألفا ، فانطلقا إلى فرعون فلم يؤذن لهما سنة في الدخول عليه ، فدخل البواب على فرعون فقال : هاهنا إنسان يزعم أنه رَسُولُ رَبِّ العالمين ، فقال فرعون : ائذن له لعلنا نضحك منه ، فدخلا عليه وأديا الرسالة. فقال : ما أنتما ؟ قالا : ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فعرف موسى لأنه نشأ في بيته ، ف﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾على جهة المنّ عليه والاحتقار ، أي ربيناك صغيراً ولم نقتُلك في جملة مَنْ قتلنا ، ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ فمتى كان هذا الذي تدعيه ، وذكره بقتل القبطي بقوله ﴿وَفَعلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ فكيف تدعي مع علمنا أحوالك بأن الله أرسلك[٢].

وكان بين خروج موسى ﷺحين قتل القبطي وبين رجوعه نبياً أحد عشر عاماً غير أشهر[٣].

قوله تعالى : ﴿وتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ قال القرطبي : اختلف الناسُ في معنى هذا الكلام ، فقال السدي والطبري والفراء : هذا الكلام من موسى ﷺعلى جهة الإقرار بالنعمة ، كأنه يقول : نعم ؟ وتربيتك نعمة عليّ من حيث عبّدت غيري وتركتني ، ولكن لا يدفع ذلك رسالتي. وقيل : هو من كلام موسى ﷺعلى جهة الإبكار ، أي أتمُنّ عليّ بأن ربيتني

---

(١) الشعراء : ١٠-٢٢.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ، المجلد السابع ، ص ٨٩.

(٣) نجد دليل ذلك في قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ...﴾القصص ، ٢٧-٢٩. قيل بأن موسى قضى عشر سنوات من عنده يعمل لدى حميه بمدين. بينما جلس موسى بمدين أربعين عاما طبقا لنص التوراة : «**وَكَانَ مُوسَى ابْنَ ثَمَانِينَ سَنَةً، وَهَارُونُ ابْنَ ثَلاَثٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً حِينَ كَلَّمَا فِرْعَوْنَ.**»سفر الخروج ، ٧ : ٧. قال مفسرو التوراة : (بينما قضى موسى أربعين سنة في قصر فرعون ثم أربعين سنة في مديان). انظر الكتاب المقدس بالخلفيات التوضيحية ، ط ٢٠٢١، تفسير سفر الخروج ، ١٥ : ٢٠ ، ص ١٢٤.

وليداً وأنت قد استعبدت بني إسرائيل وقتلتهم ؟ أي ليست بنعمة ، لأن الواجب كان ألا تقتلهم ولا تستعبدهم فإنهم قومي ، فكيف تذكر إحسانك إليّ على هذا الخصوص ؟ ! قال معناه قتادة وغيره. وقال الضحاك : إن الكلام خرج مخرج التبكيت ، والتبكيت يكون باستفهام وبغير استفهام ، والمعنى : لو لم تقتل بني إسرائيل لرباني أبواي ، فأي نعمة لك عليّ ! فأنت تمنّ عليّ بما لا يجب أن تمنّ به. وقيل : معناه كيف تمنّ بالتربية وقد أهنت قومي ؟ ومَنْ أُهِينَ قومه ذل[1].

وبالرجوع مرة أخرى إلى مسألة قتل موسى ﷺ المصري نجدنا قرأنا في التوراة : «**فَقَالَ: مَنْ جَعَلَكَ رَئِيسًا وَقَاضِيًا عَلَيْنَا؟ أَمُفْتَكِرٌ أَنْتَ بِقَتْلِي كَمَا قَتَلْتَ الْمِصْرِيَّ؟**» **فَخَافَ مُوسَى وَقَالَ: «حَقًّا قَدْ عُرِفَ الأَمْرُ.** **فَسَمِعَ فِرْعَوْنُ هذَا الأَمْرَ، فَطَلَبَ أَنْ يَقْتُلَ مُوسَى. فَهَرَبَ مُوسَى مِنْ وَجْهِ فِرْعَوْنَ وَسَكَنَ فِي أَرْضِ مِدْيَانَ، وَجَلَسَ عِنْدَ الْبِئْرِ.**»[2] وطبقا للمفسرين : "**فَخَافَ مُوسَى**" : بسبب أن جريمته عُرفت ، فخاف من انتقام فرعون وبطشه. "**فَسَمِعَ فِرْعَوْنُ .... فَهَرَبَ مُوسَى مِنْ وَجْهِ فِرْعَوْنَ**" : أي من قصر فرعون ، والمقصود : من مصر[3]. وبالرجوع لهذه الآية أيضاً : «**وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى فِي مِدْيَانَ :"اذْهَبْ ارْجِعْ إِلَى مِصْرَ، لأَنَّهُ قَدْ مَاتَ جَمِيعُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَانُوا يَطْلُبُونَ نَفْسَكَ".**»[4] نجد أن أهل تفسير التوراةيقولون : "**مَاتَ**" : من ضمنهم فرعون ملك مصر)[5]. فيُستنتج من ذلك حتماً أن فرعون الذي قُتِلَ المصري في عهده هو الذي كان يَطلُبَ قتل موسى ﷺ، وأنه مات.

لكن سبق أن ذكرنا هذه الآيات القرآنية المباركة وفيها أن فرعون قال لموسى ﷺ: ﴿**أَلَمْ**

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ، المجلد السابع ، ص ٩٠ :٩١.

(٢) سفر الخروج ، ٢ : ١٤-١٥.

(٣) انظر الكتاب المقدس بالخلفيات التوضيحية ، المرجع السابق ، تفسير سفر الخروج ، ٢ : ١٤-١٥، ص ٩٩.

(٤) سفر الخروج ، ٤ : ١٩. ومثل ذلك : «**فَلَمَّا مَاتَ هِيرُودُسُ، إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ فِي حُلْمٍ لِيُوسُفَ فِي مِصْرَ. قَائِلًا : قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّهُ قَدْ مَاتَ الَّذِينَ كَانُوا يَطْلُبُونَ نَفْسَ الصَّبِيِّ**». متى ، ٢ : ١٩-٢٠.

(٥) انظر الكتاب المقدس بالخلفيات التوضيحية ، المرجع السابق ، تفسير سفر الخروج ، ٤ : ١٩، ص ١٠٣.

نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۞ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۞ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ۞ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۞ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[١] أي أن فرعون هذا كان عالما بجريمة موسى ﷺ وذكَّرَه بأنه ربَّاهُ في منزله كما سبق ذكره. وهذا يقتضي أن فرعون هذا لم يمت وقت ذهاب موسى ﷺ له بالتكليف الإلهي بإرسال بني إسرائيل معه.

وإذا كان القران الكريم لم يقل أن فرعون موسى هو الملك رمسيس ، والقصة القرآنية لا تنطبق على الملك رمسيس ، كما أن الآثار المصرية لم تُقَدِّم هي الأخرى حتى الآن الدليلَ اليقيني على أن الملك رمسيس هو ذلك الفرعون ، إذن كل ما يُقال من باب الافتراضات والاحتمالات التي يعوزها الدليل ، وحتى الآن لا يوجد أيُّ دليلٍ من الآثار عن قصة بني إسرائيل[٢]. وقد شهدت بهذا عالمةُ الآثار الفرنسية المتخصصة في علم المصريات **كريستيان نوبلكور** فذهبت إلى أن القران لم يقل إنه رمسيس وأن التوراة ظلمت الملك رمسيس وكل ما قالته عنه غير صحيح. وأن الملك رمسيس ليس هو الفرعون الذي اضطهد اليهود وطارد بني إسرائيل في مصر. وما تقوله التوراة عن الملك رمسيس غير صحيح. وترفض الافتراء على التاريخ وعلى الملك رمسيس ؛ وأن الادعاءات اليهودية على الملك رمسيس محض افتراء وليس لها أي أساس من الصحة. ولم تجد في كل الكشوف الأثرية ما يؤكد قصص التوراة عن الملك رمسيس. بل وأكدت أيضا أنه لم يكن هناك يهود في مصر في عصر الملك رمسيس الثاني[٣].

وهناك مَنْ ذهب إلى أنَّ : (كلمة فرعون اسم علم لرجل ، وهذا الاسم "فرعون" لا يمت بصلة لأسماء أو ألقاب ملوك وادي النيل) ، بحجة أنَّ هذا الاسم "فرعون" لم يرد مطلقا بصيغة الجمع فراعين على غرار الأمراء والملوك ، وأسماء الأعلام لا تُجمع. وأنَّ موسى حينما

---

(١) الشعراء : ١٨-٢٢.

(٢) انظر عادل الرحامنة ، خروج بني إسرائيل من مصر والمجتمعات المعاصرة له في غربي الشرق الأدنى القديم ، المرجع السابق، المجلد الأول، ص ٤٥٤ ؛ والآراء التي قيلت حول افتراض من هو فرعون موسى وفرعون الخروج من ص ٤٤٨.

(٣) انظر سعيد أبو العينين، الفرعون الذي يطارده اليهود بين التوراة والقرآن، المرجع السابق، ص ٧٥ ؛ ص ١٤٧-١٤٨.

خاطب فرعون قال له "يا فرعون" - الأعراف: ١٠٤- بياء النداء ، وهي تأتي مع أسماء الأعلام مثل يا مصطفى يا أحمد ، ولم يقل له يا أيها الفرعون مثل "يا أيها العزيز"، "قال الملك" ، ففرعون اسم علم للرجل وليس لقباً. وأنَّ الحاكم الذي عاصر يوسف ﷺ سُمِيَّ بالملك ؛ بينما الحاكم الذي عاصر موسى أطلِقَ عليه "فرعون" بدون أل التعريف في أربع وسبعين موضعاً. وأنَّ اسم فرعون أتى مجرداً مع صفته مرات عديدة[١] .

وهذا منه كلام بَيِّن كان يُحتمل وجاهة رأيه حيث ورد اسم فرعون موسى في مواضع عديدة من التوراة نذكر له منها **(قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «ادْخُلْ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقُلْ لَهُ...)**[٢] ؛ **(ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «ضَرْبَةً وَاحِدَةً أَيْضًا أَجْلِبُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَى مِصْرَ.)**[٣] ؛ **(ثُمَّ خَرَجَ مِنْ لَدُنْ فِرْعَوْنَ فِي حُمُوِّ الْغَضَبِ.)**[٤] ؛ **(فَقَامَ فِرْعَوْنُ لَيْلًا هُوَ وَكُلُّ عَبِيدِهِ وَجَمِيعُ الْمِصْرِيِّينَ. وَكَانَ صُرَاخٌ عَظِيمٌ فِي مِصْرَ،)**[٥]. وكثير جداً مثل ذلك !

إلا أنه يُؤخذ على رأيه أنَّ اسم "فرعون" ورد أيضاً في مواطن عديدة في التوراة ، بل وفي الحديث النبوي الشريف ، مُجرداً من أيّ صفةٍ ومن أل التعريف إشارة لملوكٍ آخرين ، بداية من زمن الخليل إبراهيم حتى في زمن فرعون يوسف. فقد وردَ ذِكرُ كلمة "فِرْعَوْن" نكرة في سفر التكوين على سبيل المثال ، وتكررت فيه اثنتان وسبعون مرة ، وليس المقصود فيها فرعون موسى أبداً ، بل فرعون الخليل إبراهيم ؛ ثم باقي المرات في هذا السفر نجد المقصود فيها فرعون يوسف. فست مرات المقصود بها فرعون الخليل إبراهيم وزوجته سارة وهي :«**وَرَآهَا رُؤَسَاءُ فِرْعَوْنَ وَمَدَحُوهَا لَدَى فِرْعَوْنَ، فَأُخِذَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى بَيْتِ فِرْعَوْنَ**»[٦] ؛ «**فَضَرَبَ**

---

(١) انظر عاطف عزت ، فرعون موسى من قوم موسى "آخر ملوك الهكسوس" ، دار نفرتاري ، العاشر من رمضان ، ط ٢٠١٠، ص ١٢-١٥ ؛ وما بعدها.

(٢) الخروج ، ٨ : ١.

(٣) الخروج ،١١: ١.

(٤) الخروج ، ١١ : ٨.

(٥) الخروج ، ١٢ : ٣٠.

(٦) سفر التكوين ، ١٢ : ١٥.

الرَّبُّ فِرْعَوْنَ وَبَيْتَهُ ضَرَبَاتٍ عَظِيمَةً بِسَبَبِ سَارَايَ امْرَأَةِ أَبْرَامَ.» «فَدَعَا فِرْعَوْنُ أَبْرَامَ وَقَالَ: "مَا هذَا الَّذِي صَنَعْتَ بِي؟ لِمَاذَا لَمْ تُخْبِرْنِي أَنَّهَا امْرَأَتُكَ ؟"»[١] ؛ **«فَأَوْصَى عَلَيْهِ فِرْعَوْنُ رِجَالًا فَشَيَّعُوهُ وَامْرَأَتَهُ وَكُلَّ مَا كَانَ لَهُ.»**[٢]

أما بدءا مِنْ هذه الآية : **«وَأَمَّا الْمِدْيَانِيُّونَ فَبَاعُوهُ فِي مِصْرَ لِفُوطِيفَارَ خَصِيِّ فِرْعَوْنَ ، رَئِيسِ الشُّرَطِ.)**[٣] فالمقصود من كلمة **"فِرْعَوْنَ"** أي فرعون يوسف وذلك حتى نهاية سفر التكوين. بينما بدءاً من هذه الآية : **«فَنَزَلَتِ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ إِلَى النَّهْرِ لِتَغْتَسِلَ، وَكَانَتْ جَوَارِيهَا مَاشِيَاتٍ عَلَى جَانِبِ النَّهْرِ. فَرَأَتِ السَّفَطَ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ، فَأَرْسَلَتْ أَمَتَهَا وَأَخَذَتْهُ.)**[٤] فإنَّ المقصودَ **فِرْعَوْنُ** موسى الذي تربى موسى ﷺ في بيته ، وشهد القرآن بذلك. فَبَطُلَ أن يكون فرعون موسى اسمه الحقيقي "فرعون". بل هي فقط صفة لِعلَمٍ.

كما أنه بالرجوع لمعنى فرعون بالقاموس نجد أن فَرْعَوْن : (كلمة مصرية معناها "البيت الكبير" ، وهو لقب لملوك مصر يقرن أحيانا الملك الخاص. ومن الفراعنة المذكورين في الكتاب المقدس عدد من بينهم فراعنة إبراهيم ويوسف والتسخير والخروج وهم غير معروفين بالضبط.)[٥] ففرعون يوسف غير معروف لنا اسمه حتى في القرآن الكريم وقد عبَّر عنه بلفظ "الملك" أي الفرعون. يقول العالم **هَارفي بورتر**: (وأظهر يوسف من الأمانة ما أثَّرَ في كل مَنْ عرفه تأثيراً عظيماً حتى أخرجه الملك من السجن ورأَّسَهُ على كل البلاد. وهذا الملك لم يُسَمَّ في الكتاب سوى فرعون فلم يُعرف اسمُهُ الشخصي ، لأن فرعون كان لقباً لكل من ملوك مصر ، وكثيراً ما بحثوا عنهُ رجاءاً أن يقفوا على أثرِه في أخبار هذه المملكة فلم يعرفوه ولم

---

(١) سفر التكوين ، ١٢ : ١٧- ١٨.

(٢) سفر التكوين ، ١٢ : ٢٠.

(٣) سفر التكوين ، ٣٧ : ٣٦.

(٤) سفر الخروج ، ٢ : ٥. ووردت كذلك إشارات متفرقات لفرعون موسى منها في سفر الملوك الثاني ، ١٧ : ٧. وسفر المزامير ، ١٣٥ : ٩. ؛ ١٣٦ : ١٥. وسفر المكابيين الأول ، ٤ : ٩.

(٥) انظر د. يوسف شماس ، قاموس الكتاب المقدس ، دار الثقافة، القاهرة ، ط ١٠، ١٩٩٥، حرف الفاء ، ص ٦٧٦.

يجدوا إلى الآن بين الآثار أدنى ذكر لبني إسرائيل وهم في مصر.)[١]

وإذا كنا لا نستطيع الجزم باسم فرعون الخروج للخلاف السابق ذكره ، ولعدم ذكره اسمه بالعهد القديم ولا بالقرآن الكريم ، إلا أنه يمكننا التأكيد بأن الفرعون الذي أَرسَلَ اللهُ إليه الضربات الوارد ذكرها في التوراة وفي سورة الأعراف بالقرآن الكريم هو الفرعون الذي تربى موسى ﷺ بِمَنزِلِهِ وهو ذات الفرعون الذي خرج وراء موسى ﷺ حينما فَرَّ موسى ﷺ ببني إسرائيل ليلاً من مصر، لقوله تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبادي إِنَّكُم مُتَّبَعُونَ ۞ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۞ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۞ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ۞وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ۞ فَأَخْرَجْنَاهُم من جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ۞وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۞ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ۞ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾[٢]

وأخيرا هل فرعون الخروج مات غريقا أم لم يَخرُج أصلاً خلف جيوشه التي طاردت موسى ﷺحتى البحر ؟ بمعنى آخر هل جلس فرعونُ هذا في مصر ووافق على خروج الإسرائيليين بسلام من مصر بدون أي ملاحقة ؟ أم رفض وطاردَهم بجيوشه بدون أن يكون على رأس هذه الجيوش ؟ هذا ما سنتناوله في المطلب التالي.

المطلب الثاني
حقيقة غرق فرعون الخروج طبقا للعهد القديم

بمطالعة السفر الثاني من التوراة نلحظ تشابها شديداً في واقعة فرعون الخروج مع ما ورد عنها في القران الكريم. فأفضل مركبات فِرْعَوْنَ وجيشهِ وأَفْضَل جُنُودِهِ الْمَرْكَبِيَّةِ غرقوا فِي بَحْرِ سُوفَ. «فَإِنَّ خَيْلَ فِرْعَوْنَ دَخَلَتْ بِمَرْكَبَاتِه وَفُرْسَانِه إِلَى الْبَحْرِ، وَرَدَّ الرَّبُّ عَلَيْهِمْ مَاءَ الْبَحْرِ. وَأَمَّا بَنُو إِسْرَائِيلَ فَمَشَوْا عَلَى الْيَابِسَةِ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ.» وهذا مستفاد من تسبيحة ترانيم موسى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وأخته مريم للرب[٣]. وهذا أيضا موافق لما قَصَّهُ القرآنُ الكريمُ

(١) انظر موسوعة مختصر التاريخ القديم ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، بدون تاريخ للنشر ، ص ١١٥.

(٢) الشعراء : ٥٢-٦٠.

(٣) «حِينَئِذٍ رَنَّمَ مُوسَى وَبَنُو إِسْرَائِيلَ هذِهِ التَّسْبِيحَةَ لِلرَّبِّ وَقَالُوا: أُرَنِّمُ لِلرَّبِّ فَإِنَّهُ قَدْ تَعَظَّمَ. الْفَرَسَ وَرَاكِبَهُ طَرَحَهُمَا فِي الْبَحْرِ. الرَّبُّ قُوَّتِي وَنَشِيدِي، وَقَدْ صَارَ خَلاَصِي. هذَا إِلهِي فَأُمَجِّدُهُ، إِلهُ أَبِي فَأُرَفِّعُهُ. الرَّبُّ رَجُلُ الْحَرْبِ. الرَّبُّ اسْمُهُ. مَرْكَبَاتُ فِرْعَوْنَ وَجَيْشُهُ أَلْقَاهُمَا فِي الْبَحْرِ، فَغَرِقَ أَفْضَلُ جُنُودِهِ الْمَرْكَبِيَّةِ فِي بَحْرِ

علينا في انشقاق البحر واجتياز بني إسرائيل مع موسى ﷺ ثم انطباقه على جيوش فرعون. ويبقى الفارق الجوهري هنا وهو هل فرعون حينما تبع موسى ﷺ وبني إسرائيل دخل البحر وراءهم بنفسه أم لم يدخل ؟ وغرق أم ظلَّ حيًّا ؟

باستقراء الآيات التالية – من التوراة - التي تُفيد كيفية خروج فرعون وصولا إلى نهاية جيشه غرقا: «وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا :كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَرْجِعُوا وَيَنْزِلُوا أَمَامَ فَمِ الْحِيرُوثِ بَيْنَ مَجْدَلَ وَالْبَحْرِ، أَمَامَ بَعْلَ صَفُونَ. مُقَابِلَهُ تَنْزِلُونَ عِنْدَ الْبَحْرِ.فَيَقُولُ فِرْعَوْنُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: هُمْ مُرْتَبِكُونَ فِي الأَرْضِ. قَدِ اسْتَغْلَقَ عَلَيْهِمِ الْقَفْرُ. وَأُشَدِّدُ قَلْبَ فِرْعَوْنَ حَتَّى يَسْعَى وَرَاءَهُمْ، فَأَتَمَجَّدُ بِفِرْعَوْنَ وَبِجَمِيعِ جَيْشِهِ، وَيَعْرِفُ الْمِصْرِيُّونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ». فَفَعَلُوا هكَذَا.فَلَمَّا أُخْبِرَ مَلِكُ مِصْرَ أَنَّ الشَّعْبَ قَدْ هَرَبَ، تَغَيَّرَ قَلْبُ فِرْعَوْنَ[1] وَعَبِيدِهِ عَلَى الشَّعْبِ. فَقَالُوا: «مَاذَا فَعَلْنَا حَتَّى أَطْلَقْنَا إِسْرَائِيلَ مِنْ خِدْمَتِنَا؟ «فَشَدَّ مَرْكَبَتَهُ وَأَخَذَ

سُوفَ، تُغَطِّيهِمُ اللُّجَجُ. قَدْ هَبَطُوا فِي الأَعْمَاقِ كَحَجَرٍ. يَمِينُكَ يَا رَبُّ مُعْتَزَّةٌ بِالْقُدْرَةِ. يَمِينُكَ يَا رَبُّ تُحَطِّمُ الْعَدُوَّ. وَبِكَثْرَةِ عَظَمَتِكَ تَهْدِمُ مُقَاوِمِيكَ. تُرْسِلُ سَخَطَكَ فَيَأْكُلُهُمْ كَالْقَشِّ. وَبِرِيحِ أَنْفِكَ تَرَاكَمَتِ الْمِيَاهُ. انْتَصَبَتِ الْمَجَارِي كَرَابِيَةٍ. تَجَمَّدَتِ اللُّجَجُ فِي قَلْبِ الْبَحْرِ. قَالَ الْعَدُوُّ: أَتْبَعُ، أُدْرِكُ، أُقَسِّمُ غَنِيمَةً. تَمْتَلِئُ مِنْهُمْ نَفْسِي. أُجَرِّدُ سَيْفِي. تُفْنِيهِمْ يَدِي. نَفَخْتَ بِرِيحِكَ فَغَطَّاهُمُ الْبَحْرُ. غَاصُوا كَالرَّصَاصِ فِي مِيَاهٍ غَامِرَةٍ. مَنْ مِثْلُكَ بَيْنَ الآلِهَةِ يَا رَبُّ؟ مَنْ مِثْلُكَ مُعْتَزًّا فِي الْقَدَاسَةِ، مَخُوفًا بِالتَّسَابِيحِ، صَانِعًا عَجَائِبَ؟ تَمُدُّ يَمِينَكَ فَتَبْتَلِعُهُمُ الأَرْضُ. تُرْشِدُ بِرَأْفَتِكَ الشَّعْبَ الَّذِي فَدَيْتَهُ. تَهْدِيهِ بِقُوَّتِكَ إِلَى مَسْكَنِ قُدْسِكَ. يَسْمَعُ الشُّعُوبُ فَيَرْتَعِدُونَ. تَأْخُذُ الرَّعْدَةُ سُكَّانَ فِلِسْطِينَ. حِينَئِذٍ يَنْدَهِشُ أُمَرَاءُ أَدُومَ. أَقْوِيَاءُ مُوآبَ تَأْخُذُهُمُ الرَّجْفَةُ. يَذُوبُ جَمِيعُ سُكَّانِ كَنْعَانَ. تَقَعُ عَلَيْهِمِ الْهَيْبَةُ وَالرُّعْبُ. بِعَظَمَةِ ذِرَاعِكَ يَصْمُتُونَ كَالْحَجَرِ حَتَّى يَعْبُرَ شَعْبُكَ يَا رَبُّ. حَتَّى يَعْبُرَ الشَّعْبُ الَّذِي اقْتَنَيْتَهُ. تَجِيءُ بِهِمْ وَتَغْرِسُهُمْ فِي جَبَلِ مِيرَاثِكَ، الْمَكَانِ الَّذِي صَنَعْتَهُ يَا رَبُّ لِسَكَنِكَ الْمَقْدِسِ الَّذِي هَيَّأَتْهُ يَدَاكَ يَا رَبُّ. الرَّبُّ يَمْلِكُ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ. فَإِنَّ خَيْلَ فِرْعَوْنَ دَخَلَتْ بِمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ إِلَى الْبَحْرِ، وَرَدَّ الرَّبُّ عَلَيْهِمْ مَاءَ الْبَحْرِ. وَأَمَّا بَنُو إِسْرَائِيلَ فَمَشَوْا عَلَى الْيَابِسَةِ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ. فَأَخَذَتْ مَرْيَمُ النَّبِيَّةُ أُخْتُ هَارُونَ الدُّفَّ بِيَدِهَا، وَخَرَجَتْ جَمِيعُ النِّسَاءِ وَرَاءَهَا بِدُفُوفٍ وَرَقْصٍ. وَأَجَابَتْهُمْ مَرْيَمُ: رَنِّمُوا لِلرَّبِّ فَإِنَّهُ قَدْ تَعَظَّمَ. الْفَرَسَ وَرَاكِبَهُ طَرَحَهُمَا فِي الْبَحْرِ.ثُمَّ ارْتَحَلَ مُوسَى بِإِسْرَائِيلَ مِنْ بَحْرِ سُوفَ وَخَرَجُوا إِلَى بَرِّيَّةِ شُورٍ. فَسَارُوا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فِي الْبَرِّيَّةِ{...}». انظر سفر الخروج ، ١٥ : ١-٢٢.

(١) قيل أنهم هربوا مع أن فرعون هو الذي أطلقهم ، وربما يكون السبب أن فرعون تصوَّر أنهم سيعودون بعد الثلاثة أيام ولم يتصور هروبهم نهائيًا. انظر شرح الكتاب المقدس ، العهد القديم ، تفسير سفر الخروج : ١٤، للقمص أنطونيوس فكري ، بموقعه الإلكتروني التالي :
https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Antonious-Fekry/02-Sefr-El-Khoroug/Tafseer-Sefr-El-Khroug__01-Chapter-14.html

قَوْمَهُ مَعَهُ وَأَخَذَ سِتَّ مِئَةِ مَرْكَبَةٍ مُنْتَخَبَةٍ وَسَائِرَ مَرْكَبَاتِ مِصْرَ وَجُنُودًا مَرْكَبِيَّةً عَلَى جَمِيعِهَا. وَشَدَّدَ الرَّبُّ قَلْبَ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ حَتَّى سَعَى وَرَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَبَنُو إِسْرَائِيلَ خَارِجُونَ بِيَدٍ رَفِيعَةٍ. فَسَعَى الْمِصْرِيُّونَ وَرَاءَهُمْ وَأَدْرَكُوهُمْ. جَمِيعُ خَيْلِ مَرْكَبَاتِ فِرْعَوْنَ وَفُرْسَانِهِ وَجَيْشِهِ، وَهُمْ نَازِلُونَ عِنْدَ الْبَحْرِ عِنْدَ فَمِ الْحِيرُوثِ، أَمَامَ بَعْلَ صَفُونَ. فَلَمَّا اقْتَرَبَ فِرْعَوْنُ رَفَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عُيُونَهُمْ، وَإِذَا الْمِصْرِيُّونَ رَاحِلُونَ وَرَاءَهُمْ. فَفَزِعُوا جِدًّا، وَصَرَخَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ. وَقَالُوا لِمُوسَى: «هَلْ لأَنَّهُ لَيْسَتْ قُبُورٌ فِي مِصْرَ أَخَذْتَنَا لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟ مَاذَا صَنَعْتَ بِنَا حَتَّى أَخْرَجْتَنَا مِنْ مِصْرَ؟ أَلَيْسَ هذَا هُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي كَلَّمْنَاكَ بِهِ فِي مِصْرَ قَائِلِينَ: كُفَّ عَنَّا فَنَخْدِمَ الْمِصْرِيِّينَ؟ لأَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ نَخْدِمَ الْمِصْرِيِّينَ مِنْ أَنْ نَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ».فَقَالَ مُوسَى لِلشَّعْبِ: «لاَ تَخَافُوا. قِفُوا وَانْظُرُوا خَلاَصَ الرَّبِّ الَّذِي يَصْنَعُهُ لَكُمُ الْيَوْمَ. فَإِنَّهُ كَمَا رَأَيْتُمُ الْمِصْرِيِّينَ الْيَوْمَ، لاَ تَعُودُونَ تَرَوْنَهُمْ أَيْضًا إِلَى الأَبَدِ. الرَّبُّ يُقَاتِلُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ تَصْمُتُونَ. «فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مَا لَكَ تَصْرُخُ إِلَيَّ ؟ قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَرْحَلُوا. وَارْفَعْ أَنْتَ عَصَاكَ وَمُدَّ يَدَكَ عَلَى الْبَحْرِ وَشُقَّهُ، فَيَدْخُلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ عَلَى الْيَابِسَةِ. وَهَا أَنَا أُشَدِّدُ قُلُوبَ الْمِصْرِيِّينَ حَتَّى يَدْخُلُوا وَرَاءَهُمْ، فَأَتَمَجَّدُ بِفِرْعَوْنَ وَكُلِّ جَيْشِهِ، بِمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ. فَيَعْرِفُ الْمِصْرِيُّونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ حِينَ أَتَمَجَّدُ بِفِرْعَوْنَ وَمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ.» فَانْتَقَلَ مَلاَكُ اللهِ السَّائِرُ أَمَامَ عَسْكَرِ إِسْرَائِيلَ وَسَارَ وَرَاءَهُمْ، وَانْتَقَلَ عَمُودُ السَّحَابِ مِنْ أَمَامِهِمْ وَوَقَفَ وَرَاءَهُمْ. فَدَخَلَ بَيْنَ عَسْكَرِ الْمِصْرِيِّينَ وَعَسْكَرِ إِسْرَائِيلَ، وَصَارَ السَّحَابُ وَالظَّلاَمُ وَأَضَاءَ اللَّيْلَ. فَلَمْ يَقْتَرِبْ هذَا إِلَى ذَاكَ كُلَّ اللَّيْلِ. وَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ، فَأَجْرَى الرَّبُّ الْبَحْرَ بِرِيحٍ شَرْقِيَّةٍ شَدِيدَةٍ كُلَّ اللَّيْلِ، وَجَعَلَ الْبَحْرَ يَابِسَةً وَانْشَقَّ الْمَاءُ. فَدَخَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ عَلَى الْيَابِسَةِ، وَالْمَاءُ سُورٌ لَهُمْ عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِهِمْ. وَتَبِعَهُمُ الْمِصْرِيُّونَ وَدَخَلُوا وَرَاءَهُمْ. جَمِيعُ خَيْلِ فِرْعَوْنَ وَمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ إِلَى وَسَطِ الْبَحْرِ. وَكَانَ فِي هَزِيعِ الصُّبْحِ أَنَّ الرَّبَّ أَشْرَفَ عَلَى عَسْكَرِ الْمِصْرِيِّينَ فِي عَمُودِ النَّارِ وَالسَّحَابِ، وَأَزْعَجَ عَسْكَرَ الْمِصْرِيِّينَ، وَخَلَعَ بَكَرَ مَرْكَبَاتِهِمْ حَتَّى سَاقُوهَا بِثَقْلَةٍ. فَقَالَ الْمِصْرِيُّونَ: «نَهْرُبُ مِنْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّ الرَّبَّ يُقَاتِلُ الْمِصْرِيِّينَ عَنْهُمْ» . فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُدَّ يَدَكَ عَلَى الْبَحْرِ لِيَرْجِعَ الْمَاءُ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ، عَلَى مَرْكَبَاتِهِمْ وَفُرْسَانِهِمْ.» «فَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ فَرَجَعَ الْبَحْرُ عِنْدَ إِقْبَالِ الصُّبْحِ إِلَى حَالِهِ الدَّائِمَةِ، وَالْمِصْرِيُّونَ هَارِبُونَ إِلَى لِقَائِهِ. فَدَفَعَ الرَّبُّ الْمِصْرِيِّينَ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ. فَرَجَعَ الْمَاءُ

وَغَطَّى مَرْكَبَاتِ وَفُرْسَانَ جَمِيعِ جَيْشِ فِرْعَوْنَ الَّذِي دَخَلَ وَرَاءَهُمْ فِي الْبَحْرِ. لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ وَلاَ وَاحِدٌ. ۞ وَأَمَّا بَنُو إِسْرَائِيلَ فَمَشَوْا عَلَى الْيَابِسَةِ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ، وَالْمَاءُ سُورٌ لَهُمْ عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِهِمْ. ۞ فَخَلَّصَ الرَّبُّ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ إِسْرَائِيلَ مِنْ يَدِ الْمِصْرِيِّينَ. وَنَظَرَ إِسْرَائِيلُ الْمِصْرِيِّينَ أَمْوَاتًا عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ. ۞ وَرَأَى إِسْرَائِيلُ الْفِعْلَ الْعَظِيمَ الَّذِي صَنَعَهُ الرَّبُّ بِالْمِصْرِيِّينَ، فَخَافَ الشَّعْبُ الرَّبَّ وَآمَنُوا بِالرَّبِّ وَبِعَبْدِهِ مُوسَى.»[1]

سنلحظ أنَّ فرعون - طبقا لها - طَارَدَ موسى وبني إسرائيل وتبعهم بجيوشه ومركباته حتى البحر، وكان على رأس جيشه. بدليل **(فَشَدَّ مَرْكَبَتَهُ وَأَخَذَ قَوْمَهُ مَعَهُ. ۞ وَأَخَذَ سِتَّ مِئَةِ مَرْكَبَةٍ مُنْتَخَبَةٍ وَسَائِرَ مَرْكَبَاتِ مِصْرَ وَجُنُودًا مَرْكَبِيَّةً عَلَى جَمِيعِهَا. ۞ وَشَدَّدَ الرَّبُّ قَلْبَ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ حَتَّى سَعَى وَرَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، ..... وَهَا أَنَا أُشَدِّدُ قُلُوبَ الْمِصْرِيِّينَ حَتَّى يَدْخُلُوا وَرَاءَهُمْ، فَأَتَمَجَّدُ بِفِرْعَوْنَ وَكُلِّ جَيْشِهِ، بِمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ.....)** ؛ **(فَلَمَّا اقْتَرَبَ فِرْعَوْنُ)** إذن فرعون كان مع جيشه ومركباته. لكن هذا لا يُفيد دخول فرعون البحر وخوضه مع جيشه ؛ ثم إن هذه الآية : «**فَرَجَعَ الْمَاءُ وَغَطَّى مَرْكَبَات وَفُرْسَانَ جَمِيعِ جَيْشِ فِرْعَوْنَ الَّذِي دَخَلَ وَرَاءَهُمْ فِي الْبَحْرِ. لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ وَلاَ وَاحِدٌ.**» تُفيد غرق كل جَيْشِ فِرْعَوْنَ الَّذِي دَخَلَ فلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أي أحد ؛ ولكنها لا تُفيد غرق فرعون ذاته !! فهل كان فرعون على مقدمة هذا الجيش في البحر لينالَه ما نال جيشه ؟ هذا ما لا تكشف عنه الآيات هنا. ثم ما المقصود بـ **(فَأَتَمَجَّدُ بِفِرْعَوْنَ وَكُلِّ جَيْشِهِ، بِمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ)** هل هذا يعني أن فرعون أصابه ما أصاب جيشه ؟

يذهب **القمص أنطونيوس فكري** إلى عدم غرق فرعون بصدد تفسيره لهذه الآية "٩" : **"فَسَعَى الْمِصْرِيُّونَ وَرَاءَهُمْ وَأَدْرَكُوهُمْ. جَمِيعُ خَيْلِ مَرْكَبَاتِ فِرْعَوْنَ وَفُرْسَانِهِ وَجَيْشِهِ، وَهُمْ نَازِلُونَ عِنْدَ الْبَحْرِ عِنْدَ فَمِ الْحِيرُوثِ، أَمَامَ بَعْلَ صَفُونَ."** فيقول : (كان جيش فرعون مشاة

---

(١) انظر سفر الخروج ، ١٤ : ١-٣١. والبحر المذكور في النص **(وَرَاءَهُمْ فِي الْبَحْرِ)** هو (بحرَ القُلزُم : هو البحر الأحمر) قاله جوستاف لوبون : (ولحق ببني إسرائيل عدد من المصريين الساخطين ، ومن الأسارى ، ومن العبيد المتمردين. ولما جاوز بنو إسرائيلَ بحرَ القُلزُم ....). انظر مؤلفه : اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ، ترجمة عادل زعيتر، مكتبة النافذة ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٩ ، ص ٥٠ ، هامش رقم"٨٩".

وفرسان بخيلهم ومركباتهم. وغالبًا فالفرسان والمركبات هم الذين دخلوا البحر وراء الشعب ويفهم هذا من تسبحة موسى "الفرس وراكبه طرحهما في البحر" (خر ١٥:١)، وظل فرعون مع المشاة خارج البحر). وفي ذات الموضع يقول بصدد تفسيره للآية "١٧" : (لاحظ أن الكتاب لم يَذكُر أن فرعون قد غرق بل هو فقد جيشه.)[١] ويؤكد هذا الاتجاه قولُ مفسرين العهد القديم بخصوص هذه الآية **(فَشَدَّ مَرْكَبَتَهُ وَأَخَذَ قَوْمَهُ مَعَهُ)**: "ليس مركبته الشخصية فقط ، بل مركبات جيشه ، ستمائة مركبة منتخبة ، "**قَوْمَهُ**" : المقصود هنا جيشه"[٢].

ويؤكد هذا أيضا قول **القمص أنطونيوس فكري** : (الجيش المصري كان ٤ فرق وكل فرقة لها اسم أحد الآلهة المصرية ، فهناك فرقة تحمي الشمال ، وفرقة تحمي الحدود الغربية ، وفرقة تحمي الحدود الجنوبية ، وفرقة تحمي الحدود الشرقية. وكان تعداد الجيش المصري ٢٠٠٠٠ عسكري وضابط. ومَنْ ذهبَ وراء الشعب ٦٠٠ مركبة والمركبة بها عسكري أو اثنين. وكان مَنْ خرج وراء الشعب هم جزء من الفرقة التي تحمي الحدود الشرقية. وأيضاً لم يدخل الكل وراء الشعب. وفي معركة لفرعون مع الشعوب المجاورة كان عدد المركبات ٣٠٠٠. **فَمنْ دخل وراء الشعب من جيش فرعون ليس فرعون نفسه ولا كل الجيش المصري، ولكن مَنْ دخل هو البعض وربما خاف البعض حينما رأوا الماء كسور من الناحيتين فلم يدخلوا.** "....." وفي هذا قال الله لحزقيال في موقف مشابه "يَا يَٱبْنَ آدَمَ، إِنِّي كَسَرْتُ ذِرَاعَ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ، وَهَا هِيَ لَنْ تُجْبَرُ بِوَضْعِ رَفَائِدَ وَلَا بِوَضْعِ عِصَابَةٍ لِتُجْبَرَ فَتُمْسِكَ ٱلسَّيْفَ" (حز٣٠:٢١). الله كسر ذراعه ولكن ما تبقى منه رأسه.... إذاً فرعون لم يغرق ولم يموت)[٣].

---

(١)انظر لسيادته : شرح الكتاب المقدس، العهد القديم ، تفسير سفر الخروج ،١٤ : ٩ ؛ ١٧، بموقعه الإلكتروني : (https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Antonious-Fekry/02-Sefr-El-Khoroug/Tafseer-Sefr-El-Khroug__01-Chapter-14.html)

(٢)انظر التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ، المرجع السابق ، ص ١٢٠، تفسير سفر الخروج ، ١٤ : ٦.

(٣)انظر لسيادته : شرح الكتاب المقدس ، العهد القديم ، تفسير سفر الخروج : ١٤ ، بموقعه الإلكتروني : (https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Antonious-Fekry/02-Sefr-El-Khoroug/Tafseer-Sefr-El-Khroug__01-Chapter-14.html)

كذلك ذهب أحدُ كبار علماء الآثار العلامة **سليم حسن** إلى إنكار غرق فرعون وجيشه فقال : (أما موضوع غرق فرعون فهو أمر قد فُهِمَ خطأً على حسب ما جاء في الكتب السماوية ، **والواقع أنه لا يُمكن الإنسان أن يتصور غرق الفرعون وعربته ومن معه في ماء ضحضاح لا يزيد عمقه عن قدمين أو ثلاث**، بل المعقول أن خيل الفرعون وعرباته قد ساخت في الأوحال وسقط بعض ركابها مغشياً عليه ، وهذا يُفسر ما جاء في سفر الخروج ١٤-٢٥:"وخلع دواليب المراكب فساقوها بمشقة". **ومما سبق نعلم أن خرافة غرق الفرعون في البحر الأحمر وموته لا أساس لها من الصحة** ، وقد جاء كل ذلك الخلط من ترجمة "يام سوف"بالبحر الأحمر أو بحر القلزم ، هذا فضلا عن أن **ما جاء في القرآن الكريم لا يُشعر بأن الفرعون الذي عاصر موسى قد غرق ومات ، بل على العكس نجاه الله ببدنه ليكون آية** للناس على قدرة الخالق. والتعبير : "فاليوم ننجيك ببدنك" يعادل التعبير العامي "خلص بجلده" ، هذا ويلاحظ أن كلمة "البحر" في اللغة العربية كما جاء في لسان العرب "ج ٥ ص ١٠٣" : "تُطلق على الماء الملح والعذب على السواء" وقد سبق أن قلنا : إن اليم يُطلق على النيل ، وعلى ذلك يمكن فهم الآية القرآنية التي جمعت القصة كلها في اختصار رائع حسب ما ذكرناه من إيضاحات وبراهين سابقة)[١] وذكر الآيات "٩٠-٩٢" من سورة يونس.

واختتم العلامة **سليم حسن**قوله : (هذه هي قصه خروج بني إسرائيل كما حدثتنا بها التوراة وكما تتبعناها على الآثار الباقية بقدر المستطاع ، ونريد هنا أن نكرر القول : بأن هذا الحادث كان ثانويا بالنسبة للمصريين ، حيويا عند الإسرائيليين ، ولذلك لم نجده في النقوش المصرية إلا عرضاً على حين فُصِّلَت آياتُهُ في التقاليد العبرية تفصيلاً تاماً ؛ وتدل الأحوال كلها على أن هذا الحادث قد وقع فعلا ؛ غير أن تفاصيله قد دوِّنت على حسب العقل والتفكير والتقاليد الإسرائيلية ؛ ولذلك يصعُب علينا نخله وتمحيصه من الوجهة التاريخية المحضة)[٢].

(١)انظرموسوعة مصر القديمة، الجزء السابع "عصر مرنبتاح ورعمسيس الثالث..."، المرجع السابق، ص١٣٥-١٣٦.

(٢)انظر موسوعة مصر القديمة ، الجزء السابع "عصر مرنبتاح ورعمسيس الثالث ..."، المرجع السابق ، ص١٣٨.

ونحن من جانبنا نناقض رأي سيادته ، فإذا كان حادث الخروج ثانوياً بالنسبة للمصريين، وحيوياً عند الإسرائيليين ، ولم يوجد في النقوش المصرية إلا عرضاً، فمرد ذلك أن الفراعنة أو أسلافهم لم يكونوا يدونون على جدران مقابرهم أو على أعمدة مسلاتهم أو معابدهم إلا انتصاراتهم. فكان من الطبيعي أن يُغفِلوا عمداً نقش ذلك ، كما هو مسلم به لدى علماء الآثار.

كذلك أنكر دكتور**سهيل زكار** ما ورد بسفر الخروج - وما جاء بالقرآن الكريم تأكيداً لمجمل قصة الخروج من مصر - بقوله : (من الصعب القول بأن ما حدث مع النبي موسى ﷺ وقومه كان في بقعة محددة من بلاد الرافدين ، **لكن من المؤكد أن ذلك لم يكن في أرض الكنانة**، ثم إنَّ التيه لم يكن في سيناء ، لأنه لا يوجد بين مصر وسيناء بحر.)[1]

ولكن هذه الآيات تُثبت بطلان ما قاله د. **سهيل زكار** ، وهي : «**فَإِنَّ خَيْلَ فِرْعَوْنَ دَخَلَتْ بِمَرْكَبَاتِهِ وَفُرْسَانِهِ إِلَى الْبَحْرِ، وَرَدَّ الرَّبُّ عَلَيْهِمْ مَاءَ الْبَحْرِ. وَأَمَّا بَنُو إِسْرَائِيلَ فَمَشَوْا عَلَى الْيَابِسَةِ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ....** ۞ **ثُمَّ ارْتَحَلَ مُوسَى بِإِسْرَائِيلَ مِنْ بَحْرِ سُوفَ وَخَرَجُوا إِلَى بَرِّيَّةِ شُورٍ. فَسَارُوا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فِي الْبَرِّيَّةِ وَلَمْ يَجِدُوا مَاءً.** ۞ **فَجَاءُوا إِلَى مَارَّةَ، وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَشْرَبُوا مَاءً مِنْ مَارَّةَ لأَنَّهُ مُرٌّ. لِذلِكَ دُعِيَ اسْمُهَا «مَارَّةَ».** ۞ **فَتَذَمَّرَ الشَّعْبُ عَلَى مُوسَى قَائِلِينَ : «مَاذَا نَشْرَبُ؟** ۞ **فَصَرَخَ إِلَى الرَّبِّ. فَأَرَاهُ الرَّبُّ شَجَرَةً فَطَرَحَهَا فِي الْمَاءِ فَصَارَ الْمَاءُ عَذْبًا. هُنَاكَ وَضَعَ لَهُ فَرِيضَةً وَحُكْمًا، وَهُنَاكَ امْتَحَنَهُ.** ۞ **فَقَالَ : «إِنْ كُنْتَ تَسْمَعُ لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ، وَتَصْنَعُ الْحَقَّ فِي عَيْنَيْهِ، وَتَصْغَى إِلَى وَصَايَاهُ وَتَحْفَظُ جَمِيعَ فَرَائِضِهِ، فَمَرَضًا مَا مِمَّا وَضَعْتُهُ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ لاَ أَضَعُ عَلَيْكَ. فَإِنِّي أَنَا الرَّبُّ شَافِيكَ».** ۞ **ثُمَّ جَاءُوا إِلَى إِيلِيمَ وَهُنَاكَ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنَ مَاءٍ وَسَبْعُونَ نَخْلَةً. فَنَزَلُوا هُنَاكَ عِنْدَ الْمَاءِ.»**[2] ؛ ۞ **«ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ إِيلِيمَ. وَأَتَى كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى بَرِّيَّةِ سِينٍ، الَّتِي بَيْنَ إِيلِيمَ وَسِينَاءَ فِي الْيَوْمِ الْخَامِسَ عَشَرَ**

---

(١) انظر التوراة ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف عام ، دار قتيبة ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٧ ، ص ٢٨. وسنتبين أن د. زكار ناقض ما ذهب إليه وأكذب نفسه في موضع آخر من مؤلفه ص ٢٣١-٢٣٢ حينما طفق يحقق الآيات من سفري الخروج المذكورة بأعلاه ، فهي تُثبت عكس ما قال.

(٢) سفر الخروج ، ١٥ : ١٩ ؛ ٢٢-٢٧.

مِنَ الشَّهْرِ الثَّانِي بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. ﴿ فَتَذَمَّرَ كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ فِي الْبَرِّيَّةِ. ﴿ وَقَالَ لَهُمَا بَنُو إِسْرَائِيلَ : «لَيْتَنَا مُتْنَا بِيَدِ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مِصْرَ، إِذْ كُنَّا جَالِسِينَ عِنْدَ قُدُورِ اللَّحْمِ نَأْكُلُ خُبْزًا لِلشَّبَعِ. فَإِنَّكُمَا أَخْرَجْتُمَانَا إِلَى هذَا الْقَفْرِ لِكَيْ تُمِيتَا كُلَّ هذَا الْجُمْهُورِ بِالْجُوعِ.» ﴿ فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى : «هَا أَنَا أُمْطِرُ لَكُمْ خُبْزًا مِنَ السَّمَاءِ. فَيَخْرُجُ الشَّعْبُ وَيَلْتَقِطُونَ حَاجَةَ الْيَوْمِ بِيَوْمِهَا. لِكَيْ أَمْتَحِنَهُمْ، أَيَسْلُكُونَ فِي نَامُوسِي أَمْ لاَ. ﴿وَيَكُونُ فِي الْيَوْمِ السَّادِسِ أَنَّهُمْ يُهَيِّئُونَ مَا يَجِيئُونَ بِهِ فَيَكُونُ ضِعْفَ مَا يَلْتَقِطُونَهُ يَوْمًا فَيَوْمًا.» ﴿ فَقَالَ مُوسَى وَهَارُونُ لِجَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: «فِي الْمَسَاءِ تَعْلَمُونَ أَنَّ الرَّبَّ أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. ﴿ وَفِي الصَّبَاحِ تَرَوْنَ مَجْدَ الرَّبِّ لاسْتِمَاعِهِ تَذَمُّرَكُمْ عَلَى الرَّبِّ. وَأَمَّا نَحْنُ فَمَاذَا حَتَّى تَتَذَمَّرُوا عَلَيْنَا؟»[١]

أيضا بالرجوع إلى مزامير داود ﷺ نجد هناك آيات تُؤكِّد لنا أن فرعون الخروج غرق مثل جيشه : (﴿آبَاؤُنَا فِي مِصْرَ لَمْ يَفْهَمُوا عَجَائِبَكَ. لَمْ يَذْكُرُوا كَثْرَةَ مَرَاحِمِكَ، فَتَمَرَّدُوا عِنْدَ الْبَحْرِ، عِنْدَ بَحْرِ سُوفٍ. ﴿ فَخَلَّصَهُمْ مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ، لِيُعَرِّفَ بِجَبَرُوتِهِ. ﴿ وَانْتَهَرَ بَحْرَ سُوفٍ فَيَبِسَ، وَسَيَّرَهُمْ فِي اللُّجَجِ كَالْبَرِّيَّةِ. ﴿وَخَلَّصَهُمْ مِنْ يَدِ الْمُبْغِضِ، وَفَدَاهُمْ مِنْ يَدِ الْعَدُوِّ. ﴿وَغَطَّتِ الْمِيَاهُ مُضَايِقِيهِمْ. وَاحِدٌ مِنْهُمْ لَمْ يَبْقَ.)[٢].

يقول القديس جيروم في تفسير هذه الآيات "آباؤنا لم يفهموا عجائبك ... وَاحِدٌ مِنْهُمْ لَمْ يَبْقَ": (لقد رأوا ومع ذلك لم يروا. رأوا بأعين الجسد، وليس بأعين الروح. لم يقل النبي أنهم لم يروا، وإنما لم يفهموا. فكما أن آباءنا رأوا العجائب، ولم يدركوا أعماق المعنى السري لها ، .... لقد رأوا البحر الأحمر ، ونظروا فرعون يغرق،...)[٣]. ويقول العلامة ترتليان : (عندما ترك

(١) انظر سفر الخروج ، ١٦: ١-٧.

(٢) سفر المزامير ، ١٠٦ : ٧-١١.

(٣) انظر الموقع الإلكتروني لسيادته :

https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/21-Sefr-El-Mazameer/Tafseer-Sefr-El-Mazamir__01-Chapter-106.html#4._%D8%AA%D9%85%D8%B1%D8%AF_%D9%81%D9%8A_%D8%A3%D9%8A%D8%A7%D9%85_%D9%85%D9%88%D8%B3%D9%89

الشعب مصر بإرادته، وهربوا من سلطان ملك مصر بعبورهم الماء، أهلك الماء الملك وكل جيشه.)[١]

وبدليل واضح وقطعي لا لبس في فهمه ودلالته على غرق فرعون الخروج نقرأ هذا : (الَّذِي ضَرَبَ مِصْرَ مَعَ أَبْكَارِهَا، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. وَأَخْرَجَ إِسْرَائِيلَ مِنْ وَسَطِهِمْ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. بِيَدٍ شَدِيدَةٍ وَذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. الَّذِي شَقَّ بَحْرَ سُوفٍ إِلَى شُقَق، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. وَعَبَّرَ إِسْرَائِيلَ فِي وَسَطِهِ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. وَدَفَعَ فِرْعَوْنَ وَقُوَّتَهُ فِي بَحْرِ سُوفٍ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. الَّذِي سَارَ بِشَعْبِهِ فِي الْبَرِّيَّةِ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ.)[٢]

وطبقا لتفسير الكنيسة المارمرقسية : (أنقذ الله شعبه من فرعون بشق البحر الأحمر إلى شقق، أي أقسام، ونفهم من الكتاب المقدس أنه شق طريقًا في البحر الأحمر (بحر سوف). وكانت المياه على الجانبين كالحائط يمينًا ويسارًا، وهذا عمل عجيب لم يسمع مثله من قبل. وعندما تجاسر فرعون وتبع بني إسرائيل أغرقهم الله في البحر الأحمر بعد أن نجى شعبه وخرجوا إلى برية سيناء. عبور البحر الأحمر يرمز للمعمودية، وعصا موسى التي ضرب بها البحر ترمز للصليب. وبعبور بني إسرائيل البحر الأحمر تخلصوا من عبودية فرعون الذي يرمز للشيطان. وغرق فرعون وجنوده يَرمُز لموت الإنسان العتيق، ....)[٣].

ونحن لن نعتمد على ذكر الحقائق التاريخية التي أعوزت المؤرخين[٤] والأثريين مادامت غير

---

(١) انظر الموقع الإلكتروني التالي :
https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/21-Sefr-El-Mazameer/Tafseer-Sefr-El-Mazamir__01-Chapter-136.html#_ftnref6

(٢) سفر المزامير، ١٣٦ : ١٠-١٦.

(٣) انظر الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم ، كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة ، تفسير سفر المزامير :١٣٦ بالموقع الإلكتروني التالي :
https://st-takla.org/bible/commentary/ar/ot/church-encyclopedia/psalms/chapter-136.html

(٤) ولذا لا غرابة أن نجد البروفيسور أبراهام مالمات تُعجزه الأدلة الأثرية على رحلة خروج بني إسرائيل من مصر وجبل سيناء فيحيل فيها فقط على ما ورد في إطار التوراة سواء في سفر الخروج أو في الأسفار التاريخية أو في فكر الأنبياء مثل (هوشع ، ١١ : ١؛ وعاموس ، ٩ :٧ ؛ وارميا ، ٢ : ٦) أو لدى شعراء المزامير مثل (المزمور ٨٧ ، ١٢-١٣ ؛٩١ : ٦). انظر مؤلفه : العبرانيون وبني إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات

ثابتة وغير موثقة علمياً بشواهد من آثار لا تحتمل الشك ؛ بل سنستند على الأدلة الدامغة من القرآن الحكيم ، وسنتطرق إلى كل الآيات التي أوردت غرق فرعون وآل فرعون الذين خرجوا مطاردين موسى ﷺ، لنحاول استخلاص الإجابة على الأسئلة السابق طرحها.

وهذا ما سنتناوله في المطلب التالي.

المطلب الثالث

أدلة غرق فرعون الخروج في القرآن الكريم

بالرجوع إلى الذكر الحكيم نجد أن فرعون الخروج مات غرقاً لقوله تعالى : ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ۞ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۞ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾[1]

قال ابن كثير: يذكرُ تعالى كيفيه إغراقه فرعون وجنوده ، فإن بني إسرائيل لما خرجوا من مصر صحبة موسى ﷺ - وهم فيما قيل ٦٠٠,٠٠٠ مقاتل سوى الذرية - وقد كانوا استعاروا من القبط حُليا كثيرا فخرجوا به معهم ، فاشتد حنق فرعون عليهم ، فأرسل في المدائن حاشرين يجمعون له جنوده من أقاليمه ، فركب وراءهم في أُبهة عظيمة ، وجيوش هائلة لما يريد الله تعالى بهم ، ولم يتخلف عنه أحد ممن له دولة وسلطان في سائر مملكته ، فلحقهم وقت شروق الشمس. فلما ترى الجمعان قال أصحاب موسى ﷺ إنا لمدركون ، وذلك أنهم لما انتهوا إلى ساحل البحر أدركهم فرعون ، ولم يبق إلا أن يتقاتل الجمعان. وألح أصحاب موسى عليه في السؤال كيف المخلص مما هم فيه. فضرب البَحرَ بعصاه كما أمره ربه عز وجل فانشق كالجبل العظيم ، وصار اثني عشر طريقاً ، لكل سبط واحد ، وأمر الله الريح فنشَّفت أرضه ، ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾[2]، وجازت بنو

الأثرية ، المرجع السابق ، ج ١، ص ١٠ ؛ ص ١٢٦-١٣٠.

(١) يونس : ٩٠-٩٢.

(٢) طه : من الآية : ٧٧.

إسرائيل البحر فلما خرج آخرهم منه انتهى فرعون وجنوده إلى حافته من الناحية الأخرى ، وهو في مائة ألف سوى بقية الألوان ، فلما رأى ذلك هاله وأحجم وهمَّ بالرجوع ، ولكن القدر سبق واستُجِيبَت دعوة موسى ﷺ، وجاء جبريلُ عليه السلام على فرس وديق حائل ، فمر إلى جانب حصان فرعون فحمحم إليها ، وتقدم جبريل فاقتحم البحر ودخله ، فاقتحم الحصان وراءه ولم يبق فرعون يملك من نفسه شيئاً ، فتجلَّدَ لأمرائه ، وقال لهم : ليس بنو إسرائيل بأحق بالبحر منا ، فاقتحموا كلهم عن آخرهم وميكائيل في ساقتهم ، لا يترك أحداً منهم إلا ألحقه بهم. فلما تكاملوا في البحر وهموا بالخروج منه أمر الله القدير أن يرتطم عليهم ، فارتطم عليهم فلم ينج منهم أحد ، وجعلت الأمواج ترفعهم وتخفضهم ، وتراكمت الأمواج فوق فرعون ، وغشيته سكرات الموت. فقال وهو كذلك : ﴿**آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ**﴾أي صدقت ،فآمن حيث لا ينفعه الإيمان.﴿**وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ قال القرطبي : أي من الموحدين المستسلمين بالانقياد والطاعة. وهكذا قال الله تعالى في جواب فرعون حين قال ما قال ﴿**آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾أي : أهذا الوقت تقول ، وقد عصيت الله قبل هذا فيما بينك وبينه ؟ ﴿**وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾في الأرض بإضلال الناس. وهذا الذي حكاه الله تعالى عن قول فرعون في حالته هذه من أسرار الغيب التي أعلم الله بها رسوله. قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا سليمان ... عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ: "لما قال فرعون ﴿**آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ**﴾قال لي جبريل : يا محمد ﷺ، لو رأيتني وقد أخذت حالا من حال البحر فدسسته في فيه مخافة أن تناله الرحمة). قال الترمذي حديث حسن[1].

﴿**فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ**﴾[2] يقول ابن كثير قوله ﴿**فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً**﴾ قال ابن عباس وغيره من السلف : إن بعض بني إسرائيل شكُّوا في موت فرعون ، فأمر اللهُ تعالى البَحرَ

(١) انظر تفسير القران العظيم ، المجلد الثاني ، ص ٥٣٣- ٥٣٤. الجامع لأحكام القرآن ، المجلد الرابع ، ص ٦٧٣-٦٧٤.
(٢) يونس : ٩٢.

أن يلقيه بجسده بلا روح ، وعليه درعه المعروفة به ، على نَجْوةٍ من الأرض وهو المكان المرتفع ، ليتحققوا موته وهلاكه ، ولهذا قال تعالى ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ أي : نرفعك على نَشزَ من الأرض ، ﴿بِبَدَنِكَ﴾ قال مجاهد : بجسدك. وقال الحسن : بجسم لا روح فيه. وقال عبد الله بن شداد : سويا صحيحا، أي : لم يتمزق ليتحققوه ويعرفوه. وقال أبو صخر : بدرعك. وكل هذه الأقوال لا منافاة بينها ؛ والله أعلم. وقوله ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ أي: لتكون لبني إسرائيل دليلا على موتك وهلاكك ، وأن الله هو القادر. وقد كان إهلاك فرعون وملئه يوم عاشوراء ، كما أخرجه البخاري عن ابن عباس قال : قدم النبيﷺ المدينة ، واليهود تصوم يوم عاشوراء فقالوا : هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون ، فقال النبي ﷺلأصحابه : "انتم أحق بموسى منهم ؛ فصوموا")[1].

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾أي نلقيك على نَجْوةٍ من الأرض ، وذلك أن بني إسرائيل لم يصدقوا أن فرعون غَرِقَ ، وقالوا : هو أعظم شأناً من ذلك ، فألقاه الله على نَجْوةٍ من الأرض ، أي مكان مرتفع من البحر حتى شاهدوه. قال ابن جريج : فرُمِيَّ بهِ على ساحل البحر حتى رآه بنو إسرائيل ، وكان قصيراً أحمر كأنه ثور. وقيل أن بني إسرائيل اختلفوا في غَرق فرعون ، وسألوا الله تعالى أن يريهم إياه غريقاً فألقوه على نَجْوةٍ من الأرض ببدنه وهو درعه التي يلبسها في الحروب ، قال ابن عباس ومحمد ابن كعب القرظي : وكانت درعه من لؤلؤ منظوم ، وقيل من الذهب وكان يُعرف بها ، وقيل من حديد. وقيل ﴿بِبَدَنِكَ﴾ بجسد لا روح فيه. قال أبو بكرٍ: لأنهم – بني إسرائيل – لما ضرعوا إلى الله يسألونه مشاهدة فرعون غريقاً أبرزه لهم فرأوا جسداً لا روح فيه ، فلما رأته بنو إسرائيل قالوا نعم ! ياموسى هذا فرعون وقد غرق ، فخرج الشك من قلوبهم وابتلع البحرُ فرعونَ كما كان، فعلى

(١) انظر تفسير القران العظيم ، المجلد الثاني ، ص ٥٣٤ - ٥٣٥. والحديث أخرجه مسلم في الصوم ، باب صوم يوم عاشوراء ، ٧٩٦/٢ ؛ وأخرجه البخاري أيضا في الصوم ، باب صوم يوم عاشوراء ، اللؤلؤ والمرجان ٢٧٩/١. شمس الدين البِرْماوي ، اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح ، ج ١٢، ص ١٨٣ ، برقم ٤٦٨٠. والأمر بصوم يوم عاشوراء كان قبل فرض صيام رمضان ، فلما فُرِضَ صيام رمضان تُرِكَ صيام يوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه. أخرجه البخاري ومسلم في الصوم ، باب صوم يوم عاشوراء ، اللؤلؤ والمرجان ٢٧٨/١.

هذا ﴿نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ احتمل معنيين : أحدهما نلقيك على نَجْوةٍ من الأرض ، والثاني : نظهر جسدك الذي لا روح فيه. قوله تعالى ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ أي لبني إسرائيل ولمن بقي من قوم فرعون ممن لم يدركه الغرق ولم ينته إليه هذا الخبر[(١)].

وقد تواترت آياتُ الذكر الحكيم شاهدة على غرق فرعون الخروج ومَنْ كان معه مِن قومه ، منها : ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ۞ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾[(٢)]؛ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۞ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۞ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ۞ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ۞ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ۞ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۞ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾[(٣)]

فقد أخبر المولى تعالى شأنه عن إرساله موسى ﷺ بآياته وحججه القاطعة إلى فرعون ، وهو ملك ديار مصر على أمة القبط ، فاستكبر هو وقومه "فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ" وما في أمر فرعون رشد ولا حكمة ، بل جهل وضلال وكفر وعناد[(٤)] ؛ وإدعاءلربوبيتهفأخذه الله بذنبه[(٥)]هو وقومه: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾[(٦)]؛ ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۞ قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۞ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ۞ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ۞ وَأَنجَيْنَا

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ، المجلد الرابع ، ص ٦٧٥-٦٧٦.

(٢) يونس : ١٠٣-١٠٤.

(٣) الدخان : ١٧-٢٤.

(٤) انظر ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، المجلد الثاني ، ص٥٦٩.

(٥) قال تعالى : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۞ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۞ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۞ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ۞ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۞ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ۞ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۞ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۞ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۞ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ۞ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ۞ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾النازعات : ١٥-٢٦.

(٦)المزمل : ١٦.

مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ۞ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ۞ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1]

قال القرطبي : عندما أمر الله موسى ﷺ أن يَخرُجَ ببني إسرائيل ليلاً أعلمه أن فرعون وقومه سيتبعوهم ليردوهم فقال تعالى : ﴿**إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ**﴾وكان مع فرعون ألف جبار بسلاحهم ، كلهم عليهم تاج وكلهم أمير خيلغير سائر الألوية ، ﴿**فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ**﴾ أي فتبع فرعونُ وقومُهُ بني إسرائيل ، قيل حين أشرقت الشمس ، وقيل ناحية المشرق. ﴿**فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ**﴾ أي تقابلا الجمعان بحيث يرى كُلُّ فريق صاحبه ، ولحق فرعونُ وجيشهُ قومَ موسى وأدركوا أن لا طاقة لهم بجيش فرعون ، وأنه مدركهم لا محالة ، قالوا لموسى ﷺ على جهة التوبيخ والجفاء ﴿**إِنَّا لَمُدْرَكُونَ**﴾، فرد عليهم موسى ﷺ قولهم وزجرهم وذكَّرهم وعد الله له بالهداية والظفر ، وأنه تعالى سيدله على طريق النجاة. فلما عظم البلاءُ على بني إسرائيل ، ورأوا من الجيوش ما لا طاقة لهم بها ، أمر الله أن يضرب البحرَ بعصاه ، فانفلق بقدرته تعالى وصار اثنا عشر طريقاً على عدد أسباط بني إسرائيل. ووقف الماءُ بينهما كالجبل العظيم،فاجتاز بنو إسرائيل البحرَ﴿**وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ**﴾أي قربنا فرعون وقومه إلى البحر.فكانت معجزة الله ﴿**وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ۞ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ**﴾ أي أنجينا موسى وبني إسرائيل ومَنْ معهم على دينهم فلم يهلك منهم أحد ، وأغرق فرعون وجنوده فلم يبق منهم رجل إلا هلك. ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً**﴾ أي علامة على قدرة الله[2].

فمن جماع كل تلكم الآيات الكريمة نجد أن فرعون علا في الأرض وادعى إلوهيته واستنكر وجود إلها غيره واستهزأ بموسى ﷺ وبربه ، رب المشرق ورب المغرب وما بينهما ، فكان جزاؤه جزاءاً أوفى ، نكال الآخرة والأولى ، وبات عبرة لمن يعتبر، قال تعالى : ﴿**كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ ۙ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا**

---

(١)الشعراء : ٦١-٦٧.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن، المجلد السابع، ص ٩٤-١٠١. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المجلد الثالث، ص٤١٢-٤١٤.

ظَالِمِينَ﴾[1]

إذن فرعون بنصوص القرآن الكريم أصابه ما أصاب جنوده ومن تبعه ودخلوا البحر خلف موسى ﷺ ؛ فغرقوا جميعا في البحر بما لا يدع مجالا للشك ، قال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ۝ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ**﴾[2] بينما نجى الله موسى ﷺ وبني إسرائيل بقدرته، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿**وَإِذْ فَرَقْنا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْناكُمْ وَأَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ**﴾[3] .

(١) الأنفال : ٥٤.

(٢) طه : ٧٧-٧٨.

(٣) البقرة : ٥٠.

الخاتمة

وفيها أهم نتائج والبحث وتوصياته على النحو التالي :

أولاً - النتائج :

رأينا في ثنايا هذا البحث المتواضع عرضاً لوقائع قانونية هامة حدثت في مصر الفرعونية على غرار ما يقع بزماننا هذا. وقد نصت عليها الكتب المقدسة. ونستطيع بفضل الله أن نستخلص منها الحقائق التالية :

(١) – بعد مقارنة الأدلة الواردة بالتوراة في قضية اتهام سيدنا يوسف ﷺ بالفحشاء بما ورد بآيات القرآن الكريم وجدنا تبايناً واضحاً في مسألة إدعاء ترك يوسف ﷺ ثوبه بجوار امرأة العزيز ، وقد فندناها بما استخلصناه مما ورد بآيات القرآن الحكيم. وتبينا من جهة أخرى بطلان دليل تحرز زليخة على قميص يوسف بمقولة انتظارها قدوم سيدها وإبراز قميص يوسف له. فقد تبادرا وألفيا - هي ويوسف - سيدها أمام الباب الذي سبق وأن أغلقته ، وقدَّت قميصه من الخلف ولم يُترك بجوارها كما ذهبت التوراة ، وقد شهد فرد من أهلها "ابن عمها" بما يفيد الحق. وقد أشار القرآن الكريم لذلك بإيجاز محكم ودقة بليغة.

(٢) – كذلك تبينا تعنت يوسف ﷺ في عدم خروجه من سجنه للقاء الملك فور أن طلبه الأخير – عكس ما ذهبت إليه التوراة – وفهمنا علة اشتراطه ليخرج لرؤية الملك أن يستوثق الأخير من دليل براءته بسؤال مَنْ اتهمنه بتلكم الفاحشة ليستبرأ لعرضه ، وقد أثبت ذلك القرآنُ الكريمُ.

(٣) – وناقشنا مسألة ذهاب بصر يعقوب لفقده أبنائه ، ووجدنا أن التوراة أغفلت ذلك تماماً ، على عكس ما صرح به القرآن الكريم وأثبته. فمدلول الآيات القرآنية أن يعقوب ﷺ كان مبصراً قبل فقده ابنه يوسف ﷺ ثم فقد بصره تماما حينما فقد ابنه بنيامين وأخيه الأكبر مع فقده يوسف ، إذ اشتد حزنه وكثُرَ بكاؤه حتى ذهب بصرُهُ. وقد أكد القرآن الكريم ذلك ثم أثبت عودة بصر يعقوب ﷺ إليه بعد ورود البشير وإلقائه قميص يوسف ﷺ عليه.

(٤) – واتضح لنا من خلال هذا البحث وجود اختلاف بَيِّنٍ فيمَنْ التقطت موسى ﷺ ، فبينما هي ابنة فرعون طبقا للتوراة إذ هي في الحقيقة زوجة فرعون طبقا للقرآن الكريم ،

وكانت عاقراً ، وليست حتسبشوث. وقد تربى بسببها موسى ببيت فرعون ، حتى أنه عُرِفَ بابن فرعون. وعندما اشتد عوده وبلغ مبلغ شبابه ودخل المدينة ذات مرة فجأة إذ هو يرى رجلا مصرياً يضرب بقسوة رجلا من قوم موسى. وعلى إثر استغاثة المضروب به دفع أو وكزه موسى المعتدي قاصداً زجره عن غيّه وكفه عن ضرب الإسرائيلي ، فكان فيها إزهاق روح المصري. وقد سطرتها التوراة في آياتها قتلا عمداً ؛ بل مِن مفسريها مَنْ ذهب إلى كونه قتلاً مشدداً لاقترانه بعذري سبق الإصرار والترصد. أما القرآن الكريم فبَيَّنَ بروعة ودقة كلماته أنها جريمة لحظية بدون سبق إصرار ولا ترصد ، وليست قتلا عمداً بل ولا خطأ ، بل ضرب (وكز) أفضى إلى موت المضروب لفرط قوة موسى. ومن ثم أشارت الفلسفة القانونية إلى كونها جريمة ضرب مفضي إلى الموت بمصطلحاتنا العقابية المعاصرة.

(٥) – وبعد مناقشة قضية الفرعون الذي تربى موسى ﷺ ببيته وهل كان هو فرعون الخروج أم لا ، علمنا أنَّ كثيراً من مفسري التوراة يذهبون أن الفرعون الذي ربَّى موسى هو تحتمس الأول ، وأن حتشبسوث ابنته هي التي أنقذته ، وأن فرعون الخروج هو تحتمس الثالث ، بينما الآثار لا تُساند آراءهم. وآخرون من مفسريها ـ ومنهم موريس بوكاي ـ يرون أن الفرعون الذي تربى موسى في بيته كان أمنحتب الثاني وأن رمسيس الثاني هو فرعون التسخير لكن تم الخروج في عهد ابنه مرنبتاح. ويقف موقفا وسطا بعضُ القساوسة إزاء عدم إفصاح نصوص التوراة عن اسم فرعون الخروج ، ولغياب الأدلة الأثرية على حدث الخروج ، فيعتقدون أن سفر الخروج يحتوي على بذرة تاريخية فقط لتحرير بني إسرائيل من التحديَّات التي واجهتهم إبان الأسر البابلي أو الفارسي أو المصري. وقد تم فحص هذه الآراء ودحضها بالرجوع لعلم الآثار ولما أشارت إليه آيات القرآن الكريم بشأن حدث الخروج ، ووجدنا أن فرعون الخروج ليس رمسيس الثاني ولا مرنبتاح لما تقدم. وقد تعمد القرآن العظيم إغفال ذكر اسم فرعون الخروج كتعمده إغفال اسم الفرعون الذي تربى موسى بقصره ليلفت الأنظار فقط إلى أهمية الحدث ذاته ويصرفها عن الأشخاص فيه.

(٦) – وأخيراً خلصنا إلى أنَّ الفرعون الذي طارد موسى ﷺ ومن معه لم تنص آيات التوراة مطلقا على موته أو غرقه أثناء مطاردة الخروج ، في حين نصت آيات القرآن الكريم على موته غرقاً بما لا يدع مجالاً للشك في ذلك.

ثانياً – التوصيات :

(١) – نرى وجوب الرد علميا على ادعاءات المستشرقين في إنكارهم الوقائع الثابتة بالكتب السماوية ، وتفنيدها ومقارعة الحجة بالحجة ، ودحض افتراءاتهم الكاذبة على أنبياء الله تعالى فإنهم معصومون من كل ذلل. ولكل حادث ظروفه وملابساته. وما قَصَّهُ علينا القرآنُ الكريمُ منها لم يكن عبثا بل تصحيحا أو تصويبا لنصل للحقيقة ولتحصُل لنا العبرة.

(٢) – إن معظم الصراعات تنتج من التعصب الأعمى للرأي أو للمذهب أو للدين. فعلى الباحثين من أهل العلم التنقيب عن المعنى المشترك عند ورود ذات الواقعة في الكتب السابقة وفي القرآن الكريم. وعند التعارض يلزم تلمس الفلسفة القانونية والرجوع إلى الحقائق التاريخية وكل ما هو ثابت من علم الآثار لفهم الحقيقة التاريخية. فإن أعوزنا ذلك فلا مناص من الوقوف عند ما ذكره القرآن الكريم من حقيقة تاريخية ، شريطة استنباط العلة للوصول إلى التكييف الصحيح للواقعة.

(وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين) ،،،

قائمة المراجع

أولا – المراجع العربية

١- أبراهام مالمات ، العبرانيون وبني إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية ، ترجمة د. رشاد الشامي ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠١، الجزء الأول.

٢- دكتور / أندريه زكي إسطفانوس ، التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس ، دار الثقافة ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠١٨.

٣- أنطونيوس فكري "القمص"،شرح الكتاب المقدس،العهد القديم،"منشور بموقعه الإلكتروني".

٤- توماس ل. طومسون ، التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي ، ترجمة صالح سوداح ، بيسان، بيروت ، ط الأولى ، ١٩٩٥.

٥- جان كلود بارو ؛ غيوم بيغو، التاريخ الكامل للعالم "منذ ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا"، ترجمة لحسن عيساني للأصل الفرنسي Toute l'histoire du monde، دار الفارابي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨.

٦- دكتور / جندي عبد الملك ، الموسوعة الجنائية ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٣١.

٧- جهاد محمد حجاج ، إسرائيل "حياتهم وتاريخهم"، العلم والإيمان ، دسوق ، ٢٠٠٤-٢٠٠٥.

٨- جوستاف لوبون ، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ، ترجمة عادل زعيتر، مكتبة النافذة ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٩.

٩- حسن الباش، القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان؟ دار قتيبة، بدون مكان أو تاريخ للنشر،ج ١.

١٠- دونالد ريدفورد ، مصر وكنعان وإسرائيل في العصور القديمة ، ترجمة بيومي قنديل ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط ٢ ، ٢٠١٥.

١١- عادل محمد الرحامنة ، خروج بني إسرائيل من مصر والمجتمعات المعاصرة له في غربي الشرق الأدنى القديم ، رسالة دكتوراه ، مكة المكرمة ، ١٩٩٨، المجلد الأول.

١٢- عبد الهادي حماده ؛ محمد زكي ، دليل آثار الأقصر ، مطبعة محمد عبد الحميد ، القاهرة ،١٩٤٢.

١٣- عبد الوهاب طويلة ، تَورَاةُ اليَهُود والإمامُ ابنُ حَزمٍ الأندلسي ، تعليق وتحقيق :"عرض جديد لما أورده الإمام ابن حزمٍ في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) عن توراة اليهود وبعض أسفارهم من حيث التوثيق والمغالطات" ، دار القلم ، دمشق ، بدون تاريخ للنشر.

١٤- دكتور / عبد الوهاب المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، بدون دار نشر ، القاهرة ، ٢٠٠٥ ، المجلد الخامس "اليهودية .. المفاهيم والفرق".

١٥- دكتور / عبد المحسن الخشّاب ، تاريخ اليهود القديم بمصر ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٨٩.

١٦- ر. انجلباخ ، مدخل إلى علم الآثار المصرية "مع الإشارة إلى المتحف المصري بنوع خاص" ، ترجمة د. أحمد موسى ، المجلس الأعلى للآثار ، القاهرة ، ١٩٨٨.

١٧- دكتور / رمسيس بهنام ، قانون العقوبات "جرائم القسم الخاص"، منشاة المعارف ، الإسكندرية ، بدون تاريخ نشر.

١٨- رُوجيه غَارودي ، إسرائيل بين اليَهودية والصُهيُونية ، ترجمة حسين حَيدر ، دار التضامن ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٠.

١٩- دكتور / سعدون محمود الساموك ، موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة ، الجزء الأول "العقائد" ، دار المناهج ، عمان ، ط ١ ، ٢٠٠٢.

٢٠- سعيد أبو العينين ؛ الفرعون الذي يطارده اليهود بين التوراة والقرآن ؛ دار أخبار اليوم ، القاهرة ، عدد مايو ١٩٩٧.

٢١- سليم حسن ، موسوعة مصر القديمة ،"عصر مرنبتاح ورعمسيس الثالث ولمحة في تاريخ لوبية"، الجزء السابع ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ٢٠٠٠.

٢٢- دكتور / سهيل زكار ، التوراة ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف عام ، دار قتيبة ، ببيروت، ط ١ ، ٢٠٠٧.

٢٣- سيغموند فرويد ، موسى والتوحيد ،ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط٤، ١٩٨٦.

٢٤- شارل سنيوبوس ، تاريخ الحضارة ، تعريب محمد كردي ، مطبعة الظاهر ، القاهرة ، بدون تاريخ للنشر.
٢٥- دكتور / شريف حامد سالم ، نقد العهد القديم "دراسة تطبيقية على سفري صموئيل الأول والثاني"، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط ١، ٢٠١١.
٢٦- صابر طعيمة، التَّاريخ اليَهُودي العام ، دار الجيل، بيروت ، ط ٣، ١٩٩١، الجزء الأول.
٢٧- دكتور / صفوت عادل مرزوق " القس"، التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس ، دار الثقافة ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠١٨.
٢٨- عاطف عزت ، فرعون موسى من قوم موسى "آخر ملوك الهكسوس" ، دار نفرتاري ، العاشر من رمضان ، ط ٢٠١٠.
٢٩- دكتور / علي عبد الواحد وافي ، اليهودية واليهود "بحُث في ديانة اليهُود وتاريخهم ونظامِهّم الاجتماعي والاقتصادي" ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط ٢، ١٩٨١.
٣٠- فرانسيس فيفر ، الفرعون الأخير رمسيس الثالث أو زوال حضارة عريقة ، دار الحصاد ، دمشق ، ترجمة فاطمة الهلول ، بدون تاريخ نشر.
٣١- كريستيان ديروش نوبلكور ، رمسيس الثاني فرعون المعجزات (Ramses II : La Veritable Histoire) ، ترجمة فاطمة عبد الله محمود ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٥.
٣٢- دكتور / السيد عبد الحميد فوده ، القانون اليهودي القديم ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٩.
٣٣- ماكس لوكيدو ، راندي فريزي ، القصة "قصة تعاملات الله مع الإنسان"، مأخوذ من الترجمة العربية للكتاب المقدس (ترجمة فاندايك)، دار الكتاب المقدس ، القاهرة ، ط ٢، ٢٠١٦.
٣٤- دكتور / محمد خليفة حسن ، مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم ، مكتبة المهتدين، بدون مكان أو تاريخ للنشر.
٣٥- دكتور / محمود نجيب حسني ، شرح قانون العقوبات ، القسم العام ، النظرية العامة للجريمة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٢.
٣٦- دكتور / مصطفى كمال عبد العليم ود. سيد راشد ، اليهود في العالم القديم ، دار القلم، دمشق ، ط ١ ، ١٩٩٥.

٣٧- هَارفي بورتر، موسوعة مختصر التاريخ القديم، مكتبة مدبولي، القاهرة،بدون تاريخ للنشر.

٣٨- هند اسكندر عمُّون ، تاريخ مصر القديم والحديث "التاريخ القديم" ، مطبعة المعارف، القاهرة ، ١٩١٣.

٣٩- وول ديورانت ، قصة الحضارة ، المجلد الأول.

٤٠- دكتور / يوسف شماس، قاموس الكتاب المقدس، دار الثقافة، القاهرة، ط ١٠، ١٩٩٥.

ثانيا – المصادر الشرعية

١- القرآن الكريم.

٢- الكتاب المقدس بالخلفيات التوضيحية ، دار الكتاب المقدس ، القاهرة ، الإصدار الثاني، ط ١ ، ٢٠٢١.

٣- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ، شركة ماستر ميديا ، القاهرة ، ٢٠٠٩.

ثالثا – كتب التفسير

١- **بَحر العُلوم"المعروف بتفسير السمرقندي"** ، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ثلاثة مجلدات ، ١٩٩٣.

٢- **تفسير القرآن العظيم "المعروف بتفسير ابن كثير"** ، إسماعيل بن عمر بن كثير "الملقب بعماد الدين أبي الفداء ابن كثير"، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٣.

٣- **تفسير الماوردي "النكت والعيون"**، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ) ، تحقيق : السيد عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،بدون تاريخ للنشر.

٤- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن"المعروف بتفسير الطبري"**، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ) ، دار التربية والتراث ، مكة المكرمة ، بدون تاريخ نشر ، جزء ١٩.

٥- **فتح البيان في مقاصد القرآن** ، صديق حسن خان ، المكتبة العصريَّة ، بَيروت ، ١٩٩٢.

٦- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** ، دكتور محمد سيد طنطاوي ، دار نهضة مصر، القاهرة، ط ١، ١٩٩٨.

٧- **الجامع لأحكام القرآن "المعروف بتفسير القرطبي"**، محمد بن أحمد الأنصاري القُرطبي "الملقب بأبي عبد الله القرطبي"، راجَعهُ أد. محمد إبراهيم الحفناوي ، وخرَّجَ أحاديثَهُ أد.

محمود حامد عثمان ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٧.

٨- **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه** ، لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش ، (ت ٤٣٧هـ) ، مجموعة بحوث الكتاب والسنة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة الشارقة ، ط ١ ، ٢٠٠٨.

٩- **موسوعة التفسير المأثور** ، مجموعة من المؤلفين ، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٧.

رابعاً – كتب الحديث

١- **تخريج أحاديث الكشاف** ، المعروف بـ"تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري"، جمال الدين الزيلعي (ت ٧٦٢ هـ)، دار ابن خزيمة ، الرياض ، ط ١، ١٤١٤هـ.

٢- **سنن الدارقطني** ، علي بن عمر بن أحمد.. بن دينار "أبو الحسن الدارقطني") ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط ١، ٢٠٠٤.

٣- **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان** ، محمد بن حبان ... بن مَعْبدَ، المعروف "بالدارمي"، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٣.

٤-**صحيح البخاري** ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة "أبو عبد الله البخاري"، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٤.

٥ - **صحيح مسلم** "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله"، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري ، تحقيق : محمد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ للنشر.

٦- **الجامع الكبير "سنن الترمذي"**، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الشهير"بالترمذي" ، تحقيق : بشار عواد ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، .١٩٩٨

٧- **اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح** ، شمس الدين البِرْماوي ، دار النوادر ، دمشق ، ط ١ ، ٢٠١٢.

خامساً - كتب الفقه

١- **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع** ، الكاساني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٦،ج٦.

٢- **المبسوط** ، شمس الدين السرخسي "الشهير بالسرخسي"، مطبعة السعادة ، القاهرة .

سادساً – المواقع الإلكترونية

1. https://www.masrawy.com/news/news_egypt/details/2024/2/9/2535733/%D9%85%D9%84%D9%83%D8%A7%D8%AA-%D9%85%D8%B5%D8%B1-%D8%AD%D8%AA%D8%B4%D8%A8%D8%B3%D9%88%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%A3%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%AF%D9%8A%D8%A9
2. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AD%D8%AA%D8%B4%D8%A8%D8%B3%D9%88%D8%AA
3. https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Antonious-Fekry/02-Sefr-El-Khoroug/Tafseer-Sefr-El-Khroug__01-Chapter-14.html
4. https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/21-Sefr-El-Mazameer/Tafseer-Sefr-El-Mazamir__01-Chapter 106.html#4._%D8%AA%D9%85%D8%B1%D8%AF_%D9%81%D9%8A_%D8%A3%D9%8A%D8%A7%D9%85_%D9%85%D9%88%D8%B3%D9%89___
5. https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/21-Sefr-El-Mazameer/Tafseer-Sefr-El-Mazamir__01-Chapter-136.html#_ftnref6
6. https://st-takla.org/bible/commentary/ar/ot/church-encyclopedia/psalms/chapter-136.html

References

❖**awalan - almarajie alearabia :**

1-Ibrahim malimat , aleibraniuwn wabuni 'iisrayiyl fi aleusur alqadimat bayn alriwayat altawratiat walaiktishafat al'athariat , tarjamat da. rashad alshaami , almaktab almisrii litawzie almatbueat , alqahirat , t 1 , 2001, aljuz' al'uwwl.

2-duktur / 'andirih zakiy 'iistifanus , altafsir alearabiu almueasir lilkitab almuqadas , dar althaqafat , alqahirat , t 1 , 2018.

3-antunyus fikriun "alqimas",sharh alkutaab almiqdisu,aleahd alqadim,"minshur bimawqieih al'iilikturunii".

4-tumas la. tumsun , altaarikh alqadim lilshaeb al'iisrayiylii , tarjamat salih sudah , bisan , bayrut , t al'uwlaa , 1995.

5-jan klud baru ; ghium bighu, altaarikh alkamil lilealam "mundh ma qabl altaarikh 'iilaa yawmina hadha", tarjamatan lihasan eisaniin lil'asl alfaransii Toute l'histoire du monde, dar alfarabi , bayrut , ta1 , 2008.

6-duktur / jundiun eabd almalik , almawsueat aljinayiyat , dar alkutub almisriat , alqahirat , altabeat althaaniat , 1931.

7-jihad muhamad hujaaj , 'iisrayiyl "hayaatuhum watarikhuhum", aleilm wal'iiman , dasuq , 2004-2005.

8-justaf lubun , alyahud fi tarikh alhadarat al'uwlaa , tarjamat eadil zieitar, maktabat alnaafidhat , alqahirat , t 1 , 2009.

9-hasan albashi, alquran waltawrat 'ayn yatafiqan wa'ayn yaftariqani? dar qatibatin, bidun makan 'aw tarikh lilnashri,j 1.

10-dunaldd ridfurd , misr wakanean wa'iisrayiyl fi aleusur alqadimat , tarjamat biumi qandil , almarkaz alqawmiu liltarjamat , alqahirat , t 2 , 2015.

11-eadil muhamad alrahamnat , khuruj bani 'iisrayiyl min misr walmujtamaeat almueasirat lah fi gharbii alsharq al'adnaa alqadim , risalat dukturah , makat almukaramat , 1998, almujalad al'uwwli

12-eabd alhadi hamadah ; muhamad zaki , dalil athar al'uqsar , matbaeat muhamad eabd alhamayd , alqahirat ,1942.

13-eabd alwahaab tawilat , tawrat alyahud wal'imam abn hazm al'andalusi , taeliq watahqiq :"eurd jadid lima 'awradah al'iimam aibn hzm fi kitabih (alfasl fi almalal wal'ahwa' walnahlu) ean tawraat alyahud wabaed 'asfarihim min hayth altawthiq walmughalatati" , dar alqalam , dimashq , bidun tarikh lilnashri.

14-duktur / eabd alwahaab almisayrii , mawsueat alyahud walyahudiat walsihyawniati, bidun dar nashr , alqahirat , 2005 , almujalad alkhamis "alihudia .. almafahim walfirqi".

15-duktur / eabd almuhsin alkhshshab , tarikh alyahud alqadim bimisr , maktabat madbuli , alqahirat , 1989.

16-r. anjilibakh , madkhal 'iilaa ealm aluathar almisria "mae al'iisharat 'iilaa almathaf almisrii binawe khasa" , tarjamat d. 'ahmad musaa , almajlis al'aelaa lilathar , alqahirat , 1988.

17-duktur / ramsis bihinam , qanun aleuqubat "jarayim alqism alkhasa", munshaat almaearif , al'iiskandariat , bidun tarikh nashra.

18-rujyh gharwdy , 'iisrayiyl bayn alyahwdyt walsuhyunyt , tarjamat husayn haydr , dar altadamun , bayrut , t 1 , 1990.

19-duktur / saedun mahmud alsaamuk , mawsueat al'adyan walmuetaqadat alqadimat , aljuz' al'awal "aleaqayidi" , dar almanahij , eamaan , t 1 , 2002.

20-saeid 'abu aleaynayn ; alfireawn aladhi yutariduh alyahud bayn altawrat walquran ; dar 'akhbar alyawm , alqahirat , eadad mayu 1997.

21-salim hasan , mawsueat misr alqadimat ,"esar murnabutah waraeamsis althaalith walamhat fi tarikh lubiati", aljuz' alsaabie , maktabat al'usrat , alqahirat , 2000.

22-duktur / suhayl zakaar , altawrat tarjamat earabiat eumruha 'akthar min 'alf eam , dar qatibat , bibayrut , t 1 , 2007.

23-sighmund firuid , musaa waltawhid ,tarjamat jurj tarabishi , dar altalieat , bayrut , t 4 , 1986.

24-sharl sinyubus , tarikh alhadarat , taerib muhamad kurdi , matbaeat alzaahir , alqahirat , bidun tarikh lilnashri.

25-duktur / sharif hamid salim , naqd aleahd alqadim "dirasat tatbiqiat ealaa safaray samuyiyl al'awal walthaani", maktabat madbuli , alqahirat , t 1, 2011.

26-sabir taeimati, alttarykh alyahudy aleami , dar aljili, bayrut , t 3, 1991, aljuz' al'uwwla.

27-duktur / safwat eadil marzuq " alqasu", altafsir alearabiu almueasir lilkitab almuqadas , dar althaqafat , alqahirat , t 1 , 2018.

28-eatif eizat , fireawn musaa min qawm musaa "akhir muluk alhiksus" , dar nafirtari , aleashir min ramadan , t 2010.
29-duktur / eali eabd alwahid wafi , alyahudiat walyahud "bhuth fi dianat alyhud watarikhuhum wnzamihhm alaijtimaeia waliaiqtisadii" , dar nahdat misr , alqahirat , t 2, 1981.
30-fransis fifar , alfireawn al'akhir ramsis althaalith 'aw zawal hadarat eariqat , dar alhisad , dimashq , tarjamat fatimat albahlul , bidun tarikh nashra.
31- kiristian dirush nubilkur , ramsis althaani fireawn almuejizat (Ramses II : La Veritable Histoire) , tarjamat fatimat eabd allah mahmud , almajlis al'aelaa lilthaqafat , alqahirat , t 1 , 2005.
32-duktur / alsayid eabd alhamid fudah , alqanun alyahudiu alqadim , dar alnahdat alearabiat , alqahirat , t 1 , 2009.
33-maks lukidu , randi frizi , alqasa "qisat taeamulat allah mae al'iinsani", makhudh min altarjamat alearabiat lilkitab almuqadas (tarjamat fandayk), dar alkitaab almuqadas , alqahirat , t 2 , 2016.
34-duktur / muhamad khalifat hasan , madkhal naqdiun 'iilaa 'asfar aleahd alqadim , maktabat almuhtadin , bidun makan 'aw tarikh lilnashri.
35-duktur / mahmud najib husni , sharh qanun aleuqubat , alqism aleamu , alnazariat aleamat liljarimat , dar alnahdat alearabiat , alqahirat , 1962.
36-duktur / mustafaa kamal eabd alealim wada. sayid rashid , alyahud fi alealam alqadim , dar alqalam , dimashq , t 1 , 1995.
37-harfy burtar, mawsueat mukhtasar altaarikh alqadima, maktabat madbuli, alqahirat,bidun tarikh lilnashri.
38-hinad askandar emmun , tarikh misr alqadim walhadith "altaarikh alqadimi" , matbaeat almaearif , alqahirat , 1913.
39-wul diurant , qisat alhadarat , almujalad al'uwwl.
40-duktur / yusuf shamasi, qamus alkitaab almuqdasi, dar althaqafati, alqahirati, t 10, 1995.

❖thanian - almasadir alshareia :

1-alquran alkarim.
2-alkitaab almuqadas bialkhalfiaat altawdihiat , dar alkitaab almuqadas , alqahirat , al'iisdar althaani , t 1 , 2021.
3-altafsir altatbiqiu lilkitab almuqadas , sharikat mastar midya , alq ahirat , 2009.

❖thalithan - kutab altafsir :

1-bahr aleulwm"almerwf bitafsir alsamarqandi" , 'abu allayth nasr bin muhamad bin 'ahmad bin 'iibrahim alsamarqandii (t 373hi) , dar alkutub aleilmiat , bayrut , thalathat mujaladat , 1993.
2-tafsir alquran aleazim "almaeruf bitafsir abn kathir" , 'iismaeil bn eumar bn kathir "almulaqab bieimad aldiyn 'abi alfida' abn kathirin", dar alhadith , alqahirat , 2003.
3-tafsir almawardii "alnnkt waleuyuna", 'abu alhasan eali bin muhamad bin habib albasarii, alshahir bialmawardii (t 450hi) , tahqiq : alsayid eabd alrahim , dar alkutub aleilmiat , bayrut ,bdun tarikh lilnashri.
4-jamie albayan ean tawil ay alqurani"almaeruf bitafsir altabri", 'abu jaefar, muhamad bin jarir altabarii (310h) , dar altarbiat walturath , makat almukaramat , bidun tarikh nashr , juz' 19.
5-fatah albayan fi maqasid alquran , sadiyq hasan khan , almaktbt alesryat , bayrwt , 1992.
6-altafsir alwasit lilquran alkarim , duktur muhamad sayid tantawii , dar nahdat masri, alqahirat , t 1, 1998.
7-aljamie li'ahkam alquran "almaeruf bitafsir alqurtubii", muhamad bin 'ahmad al'ansarii alqurtby "almulaqab bi'abi eabd allah alqurtibii", rajaeh 'ada. muhamad 'iibrahim alhafnawi , wkhrraj ahadythah 'ada. mahmud hamid euthman , dar alhadith , alqahirat , 2007.
8-alhidayat 'iilaa bulugh alnihayat fi eilm maeani alquran watafsirihi, wa'ahkamihi, wajamal min funun eulumih , li'abi muhamad makiy bin 'abi talib hammwsh , (t 437hi) , majmueat buhuth alkitaab walsunat , kuliyat alsharieat waldirasat al'iislamiat , jamieat alshaariqat , t 1 , 2008.
9-mawsueat altafsir almathur , majmueat min almualifin , markaz aldirasat walmaelumat alquraaniat bimaehad al'iimam alshaatibii , dar aibn hazam , bayrut , t 1 , 2017.

❖rabeaan - kutab alhadith :

1-takhrij 'ahadith alkishaf , almaeruf bi"takhrij al'ahadith waluathar alwaqieat fi tafsir alkishaf

lilzumakhshari" , jamal aldiyn alziyleii (t 762 ha) , dar aibn khuzimat , alriyad , t 1 , 1414 hi .
2-sunan aldaariqutni , eali bin eumar bin 'ahmada.. bin dinar "'abu alhasan aldaariqatniu") , tahqiq : shueayb al'arnawuwt wakhrun , muasasat alrisalati, bayrut , t 1, 2004.
3-sahih aibn hibaan bitartib aibn balban , muhamad bin hibaan ... bin maebda, almaeruf "baldaarmi", tahqiq : shueayb al'arnawuwt , muasasat alrisalat , bayrut , t 2 , 1993.
4-shih albukharii , muhamad bin 'iismaeil bin 'iibrahim bin almughira "'abu eabd allh albukharii", dar alhadith , alqahirat , 2004.
5-sahih muslim "almusnad alsahih almukhtasar binaql aleadl ean aleadl 'iilaa rasul allahi", muslim bin alhajaaj 'abu alhasan alqushayrii , tahqiq : muhamad eabd albaqi , dar 'iihya' alturath alearabii , bayrut , bidun tarikh lilnashri.
6-aljamie alkabir "sunan altirmidhiu", muhamad bin eisaa bn sawrt bin musaa bin aldahaki, alshahiru"baltirmidhi" , tahqiq : bashaar eawaad , dar algharb al'iislamii , bayrut , 1998.
7-allaamie alsubih bisharh aljamie alsahih , shams aldiyn albirmawy , dar alnawadir , dimashq , t 1 , 2012.

❖khamsaan - katab alfiqh:

1-badayie alsanayie fi tartib alsharayie , alkasani, dar alkutub aleilmiati, bayrut, t 2, 1986,j 6.
2-almabsut , shams aldiyn alsarukhsii "alshahir bialsarkhisi", matbaeat alsaeadat , alqahira .

❖sadsaan - almawaqie al'iiliktirunia

1.https://www.masrawy.com/news/news_egypt/details/2024/2/9/2535733/%D9%85%D9%84%D9%83%D8%A7%D8%AA-%D9%85%D8%B5%D8%B1-%D8%AD%D8%AA%D8%B4%D8%A8%D8%B3%D9%88%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%A3%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%AF%D9%8A%D8%A9
2.https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AD%D8%AA%D8%B4%D8%A8%D8%B3%D9%88%D8%AA
3.https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Antonious-Fekry/02-Sefr-El-Khoroug/Tafseer-Sefr-El-Khroug__01-Chapter-14.html
4.https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/21-Sefr-El-Mazameer/Tafseer-Sefr-El-Mazamir__01-Chapter-106.html#4._%D8%AA%D9%85%D8%B1%D8%AF_%D9%81%D9%8A_%D8%A3%D9%8A%D8%A7%D9%85_%D9%85%D9%88%D8%B3%D9%89__
5.https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Tadros-Yacoub-Malaty/21-Sefr-El-Mazameer/Tafseer-Sefr-El-Mazamir__01-Chapter-136.html#_ftnref6
6.https://st-takla.org/bible/commentary/ar/ot/church-encyclopedia/psalms/chapter-136.html

فهرس الموضوعات

موجز عن البحث..... ٧٢
مقدمة..... ٧٥
المبحث الأول : قصة يوسف في الميزان بين التوراةِ والقرآن..... ٨١
المطلب الأول : هل ترك يوسفُ ثوبه بجوار امرأة العزيز وفرَّعارياًحينما أرادته أن يواقعها ؟..... ٨٢
المطلب الثاني : حقيقة انتظار امرأة العزيز دخول زوجها ومناداتها عليه لتقص عليه الحدث.... ٨٦
المطلب الثالث : شرط قبول يوسف الخروج من السجن لرؤية الملك..... ٨٧
المطلب الرابع : ذهاب بصر يعقوب ثم إبصاره بقميص يوسف..... ٩١
المبحث الثاني : نشأة موسى ببيت فرعون وسبب هروبه..... ٩٦
المطلب الأول : موسى لقيط لابنةِفرعون أم لزوجته ؟..... ٩٦
المطلب الثاني : التكييف القانوني لقتل موسى للمصري..... ١٠٤
المبحث الثالث : فرعون موسى وحقيقة غرقه..... ١١٤
المطلب الأول من هو فرعون الخروج ؟..... ١١٥
المطلب الثاني حقيقة غرق فرعون الخروج طبقا للعهد القديم..... ١٢٩
المطلب الثالث أدلة غرق فرعون الخروج في القرآن الكريم..... ١٣٨
الخاتمة..... ١٤٤
أولاً – النتائج..... ١٤٤
ثانياً – التوصيات..... ١٤٦
قائمة المراجع..... ١٤٧
References..... ١٥٤
فهرس الموضوعات..... ١٥٧